دراسات

فى

مقارنة الأديان

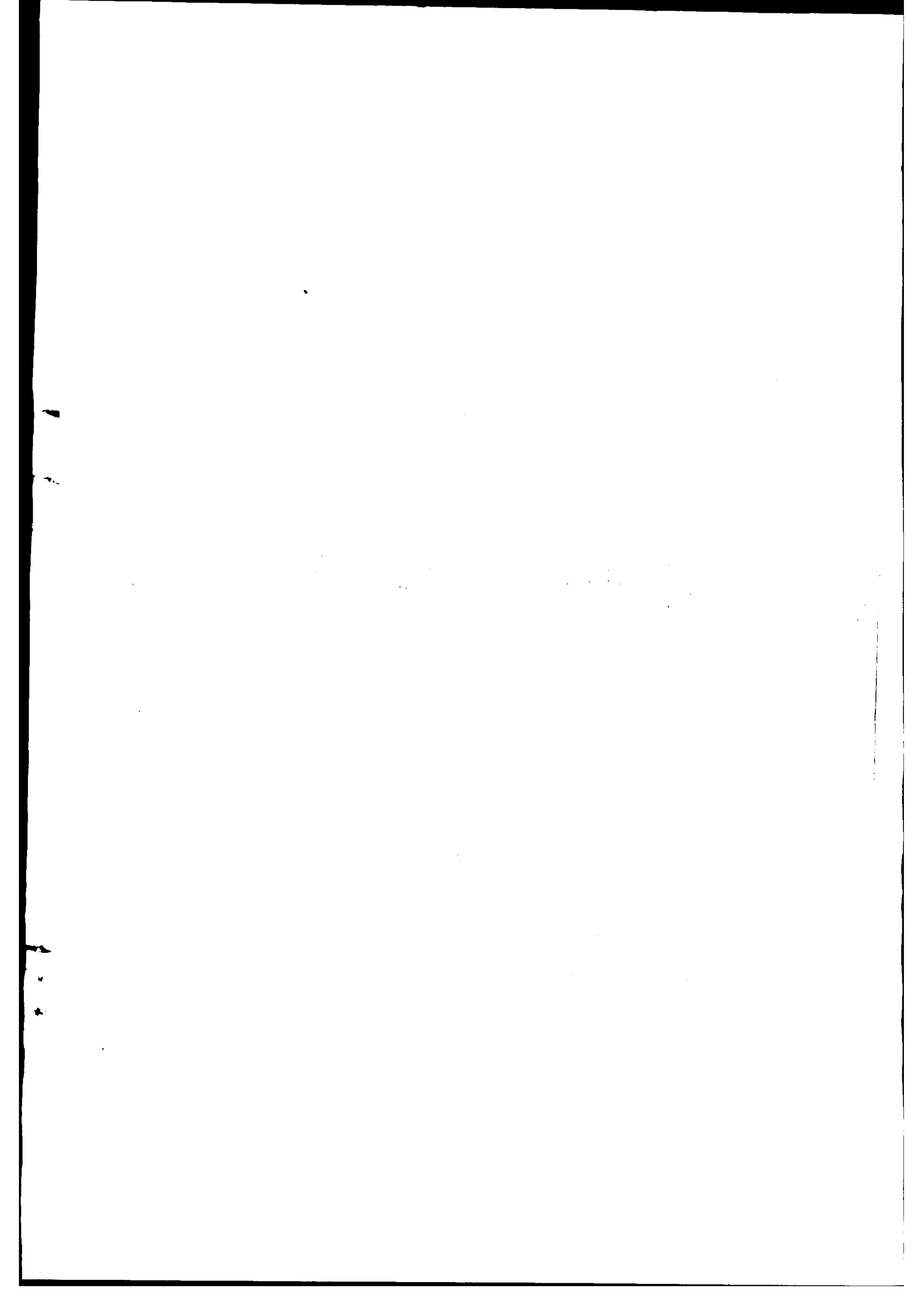
دكتورة

نورشيف عبد الرحيم رفعت

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة

١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

الإسلام دين إلهي ودعوة عالمية خاتمة وملزمة لعموم البشر في سائر الأزمان والأمصار .

أرسل الله محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، وضمن رسالته صلى الله عليه وسلم كل ما سبقه من رسالات بعد أن صفاها ونقاها مما علق بها وشاب صفوها وحرف أصولها تكلم القرآن عن الإسلام باعتباره دين الله الذي أرسل به جميع الرسل وخاطب به سائر البشر من لدن آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله تعالى.

يقول تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ (آل عمران : ١٩ - ٢٠) ويقول تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (آل عمران : ٨٥) ففي هذه الآيات يقرر الله تبارك وتعالى أن الدين المرضي

عنده هو الإسلام وأن من تعدى حدود الإسلام فقد اختلف في الدين وخالف سنن المرسلين وأن هذا الاختلاف حول دين الله إنما جاء بعد أن بين الله صحة هذا الدين بالعلم المبين ، وأن علماء الأديان هم قادة هذا الاختلاف ، واختلافهم إنما جاء تبعاً لعلمهم وليس بسبب الجهل ، وإنما هو بسبب المغالطة والبغي ، وفي نفس الموضع يخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه عندما يجادله أهل الأديان يعلن إسلام وجهه لله أي تمام خضوعه وامتثاله لدين الله الحق ، وأن يعلن كذلك أن من معه وهم المسلمون ، إنما هم مستمسكون بدين الله سائرون على نهج الأنبياء جميعًا كما طلب الله تعالى من نبيه عليه السلام أن يدعوا أهل الكتاب ومن لا كتاب لهم إلى الإسلام الذى هو دين الهداية الربانية فإذا أقبل هؤلاء على الإسلام فقد اهتدوا إلى الصراط المستقيم ، وإن تولوا عنه لزمتهم الحجة بعد تأدية البلاغ إليهم ، وفي نفس الصدد يقول الله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون. يا أيها الذين أمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا...﴾ (آل عمران : ٩٨ - ١٠٣) في هذه الآيات يأمر الله تبارك وتعالى نبيه أن يسأل أهل الكتاب عن سبب كفرهم بآيات الله، أي آياته في القرآن ، وآياته بمعنى معجزاته التى أيد بها محمداً ﷺ كما أيد بها الأنبياء السابقين ؛وتمضي الآيات فى سياقها تتحدث إلى أهل الكتاب

فتخبر أن الخارج عن الإسلام خارج عن منهج الله تبارك وتعالى أيًا كان دينه وأيًا كان معتقده ، كما يوصي الله تبارك وتعالى المؤمنين بأن يتقوا الله حق تقاته أي أن يحققوا معنى التقوى كاملا في أنفسهم ، وأسمى معاني التقوى هو الإسلام لله تبارك وتعالى وقبول الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهذا الدين هو حبل الله المتين الذي أمر الله المؤمنين أن يعتصموا به ، ويتمسكوا به ويجتمعوا عليه ، ومعنى ﴿ ولا تتفرقوا فيه﴾ أي لا تصيروا شيعا وأحزابا متناحرة متلاعنة فقد يجرهم هذا الاختلاف إلى نبذ الدين وراءهم ظهريًا ، وفي هذه الآية أيضًا أمر للمؤمنين ألا يتفرقوا عن الدين بمعنى أن لا ينبذوه وراءهم ظهريًا و يعتنقوا دينًا غيره ، وقد جعل الله تبارك وتعالى الهداية مقترنة بالإسلام كدين وأنه من تمام نعمته على العبد أن يشرح صدره لقبول الإسلام يقول تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾(الأنعام : ١٢٥) فالهدى هنا مقترن بالإسلام كما أن الضلالة مقترنة بالسلوك القبيح وبالكفر الصريح ، فالكافر دائما منقبض الصدر يشعر بضيق ويحس بكآبة وكأنه يختنق بكفره وكأن الكفر عبارة عن فضاء واسع بلا أكسجين وهذا أعظم تشبيه للحالة النفسية التي يعاني منها الكافر والملحد الذي لا يعترف بوجود الله ولا يرى أثر الله في نفسه وفي الوجود من حوله ، ويذكر الله تعالى في القرآن عن الأنبياء جميعا أنهم كانوا مسلمين وأنهم إنما دعوا إلى الإسلام يقول عز وجل : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (آل عمران : ٦٧) والله يقول على لسان إبراهيم وإسماعيل ﴿ ربنا واجعلنا

مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾(البقرة : ١٢٨) وعن يعقوب عيه السلام يقول تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون﴾(البقرة : ١٣٢ - ١٣٣) ويوسف عليه السلام يقول على ما حكاه القرآن ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾(يوسف : ١٠١) لما علم يوسف أنه ليس بعد الكمال إلا الارتحال والزوال طلب من الله عز وجل أن يحسن خاتمته وأن يتوفاه على الإسلام وأن يلحقه بصالحي المسلمين في الآخرة . وعيسى عليه السلام يعلن لله إسلامه وخضوعه الكامل وقد ظل عليه السلام يعبد الله تعالى طيلة حياته ويدعوه ويرجوه شأن المسلمين كما نطق به القرآن وكما هو موجود في أناجيل النصارى مما أفلت من أيديهم فلم يحرفوه . كذلك أعلن حواري المسيح عليه السلام إسلامهم لله كما في سورة المائدة آية ١١١ ﴿ وإذ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون ﴾ وكذلك دعا هود قومه إلى الإسلام. وفي القرآن عن الأنبياء السابقين ﴿... إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾(النمل : ٨١) ﴿ ... وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾(العنكبوت : ٤٦) ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾(الأنعام : ١٦٣) ﴿..... ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا

مسلمين﴾ (الأعراف . ١٢٦) ﴿... وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ (النمل٤٢ : ٤٤) هذه دعوة ملكية نبوية بليغة إلى دين الله تعالى ، ولقد سخر سليمان عليه السلام جاهه وملكه في الدعوة إلى الله وأخراج بلقيس من الكفر إلى الإيمان والإسلام ، وينبغي أن نلفت إلى ما في الآية من الارتباط الوثيق بين العلم والإيمان .

﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ فالعلم والإيمان لازمان لدوام الملك وتحقيق العدل ، والحفاظ على رهبة الدولة في أعين الأعداء ، وما قاله سليمان عليه السلام فيه إقراراً بقوة إسلامه ومتانة توحيده لله واعترافه بنعمه تعالى عليه . ﴿ لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ (يونس : ٩٠) قالها فرعون لما أدركه الغرق اعترافاً منه بأن الإسلام نقيض الكفر وأن التحول الصحيح إنما يكون من الكفر إلى الإسلام . ويقول الله تعالى عن الجن ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾(الجن : ١٤) فالجن بنص هذه الآية منهم المسلم ومنهم الكافر الجائر .

واضح من هذه الآيات كلها وكثير غيرها في القرآن أن الإسلام هو دين الله تعالى الذي جاءت به الأنبياء وأوصى به الرسل أقوامهم وأبناءهم وأن التوحيد إنما هو صلب هذا الدين وقلبه وهو دعوة جميع النبيين. إن الإسلام هو دين التوحيد المطلق والحنيفية السمحة كما أشرنا إليه من قبل ، وقد بشر

الأنبياء جميعًا أقوامهم وأنذروهم بتعاليم هذا الدين وكلفوهم بما جاءوا به عن الله تبارك وتعالى ولم تكن هناك دعوة أخرى دعا إليها الأنبياء قومهم غير هذا الدين ، ولم تكن لهم تعاليم يجمعون عليها قلوب العباد غير التوحيد الخالص وعبادة الله عز وجل وحده ، وغير الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره. كانت دعوة الأنبياء إذاً واحدة من حيث العقيدة ومجمل التكاليف الشرعية، ومن حيث الدعوة الكريمة إلى مكارم الأخلاق وتأسيس القيم الفاضلة بين البشر. قص الله تعالى علينا في القرآن الكريم قصص الأنبياء السابقين وسير المرسلين الذين أرسلهم الله تعالى في الأمم السابقة مبشرين ومنذرين لإقامة الدين وتأسيس الدولة وتثبيت العمران ، وهداية البشرية في طريق رحلتها التكليفية العابرة إلى الدار الآخرة ، وقصص الأنبياء إنما هي بمثابة حلقات التاريخ المتصلة أو بمثابة الأجيال الإنسانية المتواصلة فقصص الأنبياء تعني قصة الخليقة على الأرض، قصة الصراع بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين الظلم والجور، وبين العدل والقسط ، والأنبياء كما يتبين من قصصهم في القرآن ، لم يكونوا مجرد مصلحين روحانيين فحسب وإنما كانت لهم قيادة الأمم وريادة الشعوب ، والنبيون إنما جاءوا ليحكموا بكلام الله ويؤسسوا منهج الله على الأرض ، ينبغي أن يكون هذا واضحًا في وجه ما يروج له من عزلة الدين وتغريب الدين ونفيه من الأرض.

ذكر الله تعالى الرسل السابقين في القرآن وذكر أصول دعوتهم وأهم مبادئ شرائعهم التي جاءوا بها وأثنى عليهم وعلى المؤمنين بهم، ولقد أباح

الإسلام مع تقريره الجازم بأنه وحده هو دين الله الحق ، تعدد الأديان واحترم الإسلام جميع الأديان السابقة وأصحاب كل ذي دين له أصل إلهي سابق أو به شبهة وحي سابق، كما أعطى للمتدينين من غير المسلمين الحرية في ممارسة شعائرهم ومسايرة تعاليم أنبيائهم، ولم يكره أحداً قط على اعتناقه أو الدخول فيه .

فقد اعترف الإسلام باليهودية وأسندها إلى نبي الله موسى، وذكر بكل إكبار الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى في بني إسرائيل ونوه بكتبهم التي جاءوا بها وبالتعاليم والأحكام التي بعثوا بها وما أجرى الله على أيديهم من معجزات وآيات فذكر القرآن مثلا التوراة والزبور والإنجيل وبعض الكتب والصحف المنزلة الأخرى كما ذكر النصارى ونبيهم عيسى عليه السلام والحواريين وسماهم معاً بأهل الكتاب وبأهل التوراة كما أشار إلى النصارى بعبارة أهل الإنجيل ، وقوم عيسى وسمي اليهود كذلك بقوم موسى وأطلق النبي عليه الصلاة والسلام عبارة أهل الذمة أي ذمة الله ورسوله على اليهود والنصارى معًا فأحاط الإسلام من ثم أتباع هاتين الديانتين خاصة بسياج من المنعة لم يتوفر لأي أقلية في أي مجتمع من المجتمعات غير الإسلامية حتى اليوم . فنحن نرى ما يلم بالأقليات المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية من مشكلات ويحيط بهم من صعوبات تتهددهم حتى في هويتهم وفي بنيتهم الإجتماعية وانتمائهم إلى دينهم وحضارتهم وبلدانهم التي هاجروا منها.

لم يكتف الإسلام بالدعوة إلى التسامح مع أهل الأديان الأخرى أو بالوصايا والتعاليم الخلقية الوعظية في الحض على الإحسان في معاملتهم بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك إذ شرع لهم الإسلام تشريعات خاصة بهم

وسن لهم قوانين مناسبة للحفاظ عليهم، كما حرم وجرم أي اعتداء يقع عليهم، أو يحول بينهم وبين ما يعتقدون من الدين أو التشريعات، بالطبع في إطار المحافظة على كرامة وهيبة الدولة الإسلامية ، وحرمة مقدسات الأمة الإسلامية ، جعل الإسلام التعاليم الخاصة بغير المسلمين الذين يعيشون في البلدان غير الإسلامية ضمن المنهج التربوي الذي ينشأ عليه الصغار ويعلمه الكبار وتتولى الدولة حفظه ورعايته. وقاعدة الإسلام الذهبية في هذا المجال تتجلى في قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (البقرة : ٢٥٦) ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ (العنكبوت : ٤٦) ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ (الممتحنة : ٨) فالله تعالى يأمرنا أن نبر بغير المسلمين إذا كانوا غير محاربين أو معتدين ، وأن نعدل في المعاملة معهم وننهج معهم سنن المسلمين في العدل والقسط حتى يستقيم المجتمع ، ويأمن الناس ويتعاونوا على البر والتقوى وصالح الأعمال. وما أصدق هذه القاعدة أيضا التي تقول في شأن معاملة أهل الذمة " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " .

بعد أن بينا طبيعة الدين ودور العقيدة في بناء المجتمع وصلاح الأمة والملة نتكلم عن بعض المصطلحات التي تجري على ألسنة علماء مقارنة الأديان والملل والنحل والأهواء والآراء والمقالات ، ونتكلم كذلك عن اليهود وكتبهم المقدسة وعن قضية التحريف ، وعن التلمود الذي يحكم الفكر اليهودي ويمثل تاريخ اليهود وفقه الأحبار والحاخامات واجتهاداتهم ومبالغاتهم وخرافاتهم ،

وسوف نقدم مختصرا وافيًا عن فرق اليهود واعتقاداتهم واختلافاتهم وعن الأعياد والاحتفالات اليهودية التي تؤثر في المجتمع اليهودي وتعين على تفسير السلوك اليهودي والفكر اليهودي .

وإننا إذ لم نستطع أن نتوسع في هذه الدراسة التي نعتبرها مدخلاً أو تمهيدًا مهمًا لما سيأتي بعدها فإننا نعتزم بعون الله تعالى أن نتبعها بدراسة أوسع وأشمل عن اليهود منذ تاريخهم المعروف حتى العصر الحديث ، والله أسأل أن يجبر ضعفنا وأن يقبل عملنا وينفع به ويؤجر عليه هذا والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

د. نور شيف عبد الرحيم رفعت

أرض الجولف . مصر الجديدة

منتصف شهر شعبان ١٤١٧هـ

ديسمبر ١٩٩٦م

تمهيد

في التعريف ببعض مصطلحات علم مقارنة الأديان

لكل علم وفن مصطلحاته الخاصة به، كما أن لكل لغة من اللغات مفرداتها وتراكيبها التي تتميز بها، بل إن لكل كاتب أدواته ومفرداته اللغوية الخاصة به والتي تميزه، مع الأسلوب، عن غيره من الكتاب، وإنه لمما يحتمل الصدق كثيرا أن المصطلحات هي التي تميز لغة عن لغة وحضارة عن حضارة وبقدر اتساع الحضارة وامتداد وتنوع الآداب فيها تتعدد المفردات وتكثر الاصطلاحات .

والمصطلح قد يكون جديدًا كل الجدة يقدم لأول مرة إلى اللغة كمواطن جديد ينضاف إلى مجتمع ما ويقدم إليه، وقد يكون المصطلح عبارة عن كلمة متحولة عن معناها الأصلي إلى معنىً جديدٍ أضيف إليها ، وحمل عليها يعرفه أهل العلم بهذا الفن أو تلك المهنة. وكما أن الشرع قد ينقل ألفاظا أصل وضعها في اللغة إلى معاني أخرى وضعية أو اصطلاحية أو قد يأتي بمفردات جديدة ، كذلك العلوم والفنون والآداب قد تستحدث لها ألفاظ أو تحول بعض ألفاظها عن معانيها الأصلية إلى معاني أخرى اصطلاحية ، إذ لكل علم وفن وأدب مصطلحات ومفردات خاصة به تعبر عنه وتحدد معانيه ولابد لكل دارس لعلم ما أن يلم بمصطلحاته ومفرداته وإلا ضل في شعابه وتعثر في طريق طلبه وصعب عليه فهمه، واستحالت معرفته له على حقيقته، لذلك حرص أهل كل صناعة ومعرفة على تحديد مصطلحاتهم وشرح مفردات صنائعهم

وعلومهم حتى يسهل على الطلاب فهمها واستعيابها، والكتب المؤلفة في المصطلحات الخاصة بكل علم كثيرة. فهناك مصطلحات في الطب وفي الهندسة وفي الفلك وفي الفقه وأصوله، وفي علوم الحديث، وفي النحو والصرف، وفي علم الكلام والتصوف، والفلسفة والمنطق ولابد من معرفتها قبل الخوض فيها. فالكندي الفيلسوف (ته ٢٥٢هـ/٨٦٦م) على سبيل المثال قدْ كتب رسالة بعنوان " في حدود الأشياء ورسومها " يعرف فيها بالألفاظ الدائرة بين الفلاسفة والاصطلاحات الخاصة بالفلسفة .

كما وضع محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٢٧هـ/٩٩٧م) كتابا في المصطلحات العلمية بعنوان " مفاتيح العلوم " قال في مقدمته أنه ضمنه " ما بين كل طبقة من العلماء " من المواضعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من كلها أي معظمها الكتب الحاضرة لعلم اللغة حتى أن اللغوي المبرز في الأدب إذا تأمل كتابا من الكتب التي صنفت في أبواب العلوم والحكمة و لم يكن شدا صدرا من تلك الصناعة لم يفهم شيئا منه وكان كالأمي الأغتم عند نظره فيه ".

وأبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وهو علم فذ ورائد عملاق من رواد الدراسات المقارنة للأديان في العالم يقول عن الهنود :" إني كنت أقف من منجميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتي فيما بينهم، وقصوري عما هم فيه من مواضعاتهم(اصطلاحاتهم)، فلما اهتديت قليلاً لها أخذت أوقفهم على العلل وأشير إلى شيء من البراهين وألوح لهم الطرق الحقيقية في الحسابات فانثالوا علي متعجبين، وعلى الاستفادة متهافتين

يسألون: عمن شاهدته من الهند حتى أخذت عنه ؟ وأنا أريهم مقدارهم وأترفع عن جنبتهم مستنكفاً [١] .

وقد لاحظ العلامة ابن خلدون (٧٣٢هـ - ٨٠٨هـ / ١٣٣٢م - ١٤٠٦م) ، أهمية المصطلح العلمي وقيمته ودلالاته الحضارية أيضاً وذلك في عدة مواضع من المقدمة، على سبيل المثال يقول في البرهنة على أن التعليم صناعة من جملة الصنائع : " ... ويدل أيضا على أن تعليم العلم صناعة ، اختلاف الاصطلاحات فيه، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها. فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان واحدا عند جميعهم. ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين ، وكذا أصول الفقه ، وكذا العربية ، وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة ، فدل على أنها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه " [٢] .

ثم يشير ابن خلدون إلى العواصم الإسلامية بغداد والبصرة وقرطبة والقيروان والكوفة مراكز الحضارة في العصور الوسطى ويقول : " لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة ، كيف زخرت فيها بحار العلم، وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم ، واستنباط المسائل والفنون

---

١ - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (بيروت عالم الكتب ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص٢٠ ، ٢١

٢ - مقدمة ابن خلدون تحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة - دار نهضة مصر . جـ٣ ص ١٠١٩ - ١٠٢٠

حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين. ولما تناقص عمرانها وابذعر(تفرق) سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة ، وفقد العلم بها والتعليم وانتقل إلى غيرها من أهل الأمصار . ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر، وحضاراتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت، ومن جملتها تعليم العلم "[١].

يتضح من كلام ابن خلدون أن التعليم صناعة لها أصولها وقواعدها ولابد من توفر الملكة لمن يتصدى للعملية التربوية والتعليمية فليس التعليم يقوم على الصنعة فقط وإنما لابد للمعلم من مؤهلات نفسية واستعدادت ومدارك طبيعية تجعله قادراً على توصيل ما عنده من معلومات إلى الآخرين وتنشئة من يعلمه تنشئة صحيحة وقويمة بحسب الأصول العلمية والسلوكية المراد غرزها فيه، وإنه لمن بدائع ابن خلدون حقا أنه اعتبر المصطلحات علما مستقلا وربما كان هو أول من نبه على ذلك وبالتالي فهو مؤسس علم المصطلحات Terminology.

وإذا ما صوبنا نظرنا تجاه الصوفية وجدنا أنهم قد اهتموا باستحداث مصطلحات خاصة بهم أو تضمين بعض الألفاظ العربية بعض المعاني التي تعتلج في صدورهم وتجيش بها مشاعرهم وتفيض وجداناتهم ، فللصوفية مصطلحات خاصة بهم لا بد من معرفتها والإلمام بها حتى يقف المطالع على أفكارهم ونوازع طريقتهم وحضورهم وشهودهم وأحوالهم ومقاماتهم وأسفارهم ومنازلهم إلى غير ذلك مما هو مقصور عليهم معروف لديهم .

---

١ - مقدمة ابن خلدون - جـ٣ صـ١٠٢٤ - ١٠٢٥

وهناك كتب أو كتيبات ورسائل كتبت بالفعل في هذا الفن سواء من أعلام الصوفية أنفسهم أو من شُراحِهم الذين تتبعوا ألفاظهم واصطلاحاتهم فشرحوها وبينوا ما تنطوي عليه من معاني غامضة ودقائق خفية، فقد كتب الإمام الغزالي رسالة في اصطلاحات الصوفية وكذلك ابن العربي صاحب الفتوحات المكية، وكتب القاشاني كتابا بعنوان اصطلاحات الصوفية ولا يكاد يخلو كتاب من كتب الصوفية من التعاريف بهذه الاصطلاحات الخاصة بأهل الطريقة ومن المفيد أن أشير إلى ما سمعته في محاضرة للدكتور أبو ليلة في هذا الموضوع إذ يقول أن مقامات وأحوال الصوفية تعتبر رصيدا ثريا وضخما لدراسة النفس البشرية في أطوارها وتقلباتها المختلفة وما هذه الاصطلاحات الصوفية إلا دلالات نفسية تكشف لنا بعض أسرار النفس البشرية و تجعلنا قادرين على تحليل كثير من الظواهر الروحية والإنسانية للإنسان ورصد تطوراته النفسية وحالاته السلوكية .

• الدين Religion , Faith

الدين هو أساس الإنسان وجوهره ، وهو رسالته التي كلفه الله بها على هذه الأرض والإنسان مخلوق متدين وموجود من أجل الدين ، وليس يتصور للإنسان وجودا على هذه الأرض دون دين يجمعه على الله ويربطه بخالقه تبارك وتعالى ، ويجعله كائنا عاقلا راقيا في فكره وسلوكه وطريقته في الحياة . الدين ليس ظاهرة في حياة الإنسان وإنما هو جوهر، وتاريخ الإنسان هو تاريخ دينه، وتاريخ الدين هو تاريخ الإنسانية على هذه الأرض، لذلك فإنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل أن نحدد معنى دقيقا للدين ومن الصعب أن

نحصره في ألفاظ وعبارات محددة لأن الدين هو كما أشرنا جوهر الإنسان وكيانه ، وسبب وجوده على هذا الكوكب ، ولا نستطيع قط أن نفصل الإنسان عن الدين اللهم إلا إذا حاولنا أن نفصل الإنسان عن الروح التي تحييه وتنميه وعن الأرض التي تقله والسماء التي تظلله والمسكن الذي يأويه والماء الذي يرويه والغذاء الذي يقيمه ويقويه. اختلف العلماء وبخاصة علماء الغرب والملحدون منهم بصفة أخص بتعريف معنى الدين حتى أن أحدهم رصد ما يربو على الألف تعريف لكلمة دين ، واختلاف علماء الغرب بهذا الشكل في تعريف الكلمة إنما يعكس اختلافهم في تصور الدين وتحديد مفهومه وفي تصور العلاقة بين الإنسان وبين الدين أو التدين وسوف نتناول هنا الكلمة من المنظور الإسلامي بشيء من التفصيل .

إن كلمة دين هي أول وأشهر كلمة في الدلالة على ما يعتقده الإنسان ويدين به ويتعبد له . يذكر الفيروزابادي في القاموس المحيط المعاني الكثيرة التي تشتمل عليها كلمة دين فهي تعني الجزاء ، والعادة ، والعبادة ، والمواظب من الأمطار ، أو اللين منها ، والطاعة ، والذل ، والداء ، والحساب ، والقهر والغلبة ، والاستعلاء ، والسلطان ، والملك ، والحكم ، والسيرة ، والتدبير ، والتوحيد واسم لجميع ما يتعبد الله عز وجل به ، والملة والورع ، والمعصية ، والإكراه ، ... والحال والقضاء[1] .

---

١ - انظر القاموس المحيط ، ط ٤ ، جـ٤، ص٢٢٦ ، ٢٢٧ ومادة دين في ابن فارس معجم مقاييس اللغة . وابن منظور ، لسان العرب بيروت دار صادر ١٤١٠هـ/١٩٩٠م جـ١٣ ، صـ١٦٦ وما بعدها .

وجاء في معجم مقاييس اللغة في معنى الدين : " الدال والياء والنون أصل واحد إليه ترجع فروعه كلها . وهو جنس من الانقياد والذل فالدين الطاعة ... فأما قولهم إن العادة يقال لها دين ، فإن كان صحيحا فلأن النفس إذا اعتادت شيئا مرنت معه وانقادت له ... ومنه مالك يوم الدين(١ : ٤) أي يوم الحكم ، وقال قوم : (الدين هو) الحساب والجزاء وأي ذلك فهو أمر ينقاد له [١] .

وكلمة دين في اللغة العربية مأخوذة من الدين يقال دنت الرجل أخذت دينا وأدنته جعلته دائنا فكأن ا لله عز وجل دائننا بأصل وجودنا وتدبير شئوننا كما ربانا بنعمه ،ورد الدين إلى ا لله تعالى هو أن نهب الحياة كلها لمن أعطاها لنا وأن نتقوى بنعمه على طاعته لا على معاصيه يقول تعالى في معنى الدين على هذا التوجيه ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى ﴾ (البقرة : ١٨٢) وقال: ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾(النساء : ١١).

يقول الراغب الإصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن :" والدين يقال للطاعة والجزاء، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتبارًا بالطاعة والانقياد للشريعة، قال تعالى : ﴿ إن الدين عند ا لله الإسلام﴾(آل عمران ١٩) وقال : ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾(النساء : ١٢٥) أي : طاعة ، ﴿ ... وأخلصوا دينهم لله ﴾(النساء ١٤٦) ، وقوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾(النساء ١٧١) وذلك حث

---

١ - ابن فارس مقاييس اللغة . نفس المادة .

على إتباع دين النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أوسط وأعدل الأديان كما قال : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ (البقرة : ١٤٣) وبقوله : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾(البقرة : ٢٥٦) .

قيل : يعني الطاعة ؛ فإن ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه، وقيل : إن ذلك مختص بأهل الكتاب الباذلين للجزية [١] .

ومن الجدير بالتنبيه عليه هنا أن قول الله تعالى لأهل الكتاب " لا تغلوا في دينكم " يعني أنهم كانوا يغالون في الدين نفسه لا في التدين والفرق بينهما كبير فالمغالاة في الدين هو اللعب به بالإضافة والحذف والتحريف والتبديل وإسناد ما هو غير إلهي إلى الله تبارك وتعالى أما المغالاة فى التدين فهو المبالغة في أداء الشعائر التي تخرج عن حد الوسط الثالث قال الله: ﴿ لا تغلوا في دينكم ﴾ ولم يقل لا تغلوا في الدين إذ أسند الدين إليهم لأنهم صنعوا كثيرا منه وكتبوا كثيرا من نصوصه ، ثم قالوا هذا من عند الله وما هو من عند الله.

وأدلة التحريف للنصوص الإلهية كثيرة في القرآن وفي كتب اليهود والنصارى نفسها . وللزيادة التوضيح ننقل ما قاله محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ/١٢٤٠م) في معنى كلمة دين يقول : " وجاء الدين بالألف واللام (أي في القرآن) للتعريف والعهد فهو دين معلوم معروف

---

١ – الراغب الإصفهاني مفردات ألفاظ القرآن – تحقيق صفوان عدنان داوودي – (بيروت ودمشق دار القلم والدار الشامية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص٣٢٣

وهو قوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾(آل : ١٩) وهو الانقياد فالدين عبارة عن انقيادك ... فمن اتصف بالانقياد لما شرعه له فذلك الذي قام بالدين وأقامه أي أنشأه كما يقيم الصلاة فالعبد هو المنشئ للدين والحق هو الواضع للأحكام . فالانقياد هو عين فعلك فالدين من فعلك[1] ، وكلام ابن عربي يحتاج إلى تبيين فقوله فالدين " من فعلك " يعني التدين وهو القيام بفروض الشريعة وبما جاء به النبي عن الله تبارك وتعالى فالأوامر والنواهي وسائر التكاليف الشرعية والخلقية كلها من الله والإنسان هو الذي يلتزم بها ويقوم على أدائها وهو أيضا معان من الله على القيام بفرائض الدين ولولا هدايته ومعونته سبحانه وتعالى لما استطاع الإنسان أن يعبده أو أن يشكره على نعمه الكثيرة .

لذلك سمي حظ الرجل من التدين الذي يظهر في أقواله وأعماله وعباداته واعتقاداته ومعاملاته وأخلاقه دينا ، يقال " فلان حسن الدين " ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في رؤياه في قميص عمر الذي رآه يجره (قيل : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين) . الحديث رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري في باب الرؤيا . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : " محبة العلماء دين يدان به " . وله أيضا " العلم دين يدان به " [2] .

---

١ - انظر فصوص الحكم - تحقيق وتعليق أبو العلا عفيفي(دار الفكر العربي) جـ١ ص٩٤-٩٥

٢ - نهج البلاغة تحقيق وتعليق الشيخ الأستاذ الإمام محمد عبده (بيروت دار المعرفة) جـ٤ ص٣٦

وقد ذكرنا أن الدين بمعنى العادة من قولهم هذا دينه و ديدنه أي خلقه وعادته ، يقول العرب في الريح "عادت هيف لأديانها" أي عادت الريح الحارة إلى عادتها في تيبيس النبات وتجفيف المياه، وإظماء الحيوان[1] .

ومنه قوله أمرؤ القيس في معلقته :

كدينك من أم الحويرث قبلها   وجارتها أم الرباب بمأسل

يريد أمرؤ القيس أن يخبر نفسه أو غيره عن عادة أم الحوريث وجارتها أم الرباب في التدلل والتمنع عليه وعلى الرجال الراغبين فيها .

ومن الوجوه المستعملة للفظة الدين السيرة والقانون أو القاعدة الخلقيةوالسلطان والقضاء والحكم .

يفهم هذا من قوله تعالى : ﴿ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ .

(يوسف : ٧٦) ومن هذا الباب شعرا ما قاله زهير ابن أبي سلمى

لئن حللت بجو في بني أسد   في دين عمرو وحالت بيننا فدك

دين عمرو أي موضع طاعته وسيرته وحكمه ، وقد مر بنا أن من معاني الدين الجزاء والإدانة أو الدينونة وهو ما قاله ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وقتادة وغيرهم في تفسير قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ . أي يوم الحساب على الأعمال والجزاء عليها ، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في

---

١ - ابن فارس مقاييس اللغة سبق ذكره

مواضع كثيرة يقول تعالى : ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾(غافر : ١٧). ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾(الجاثية : ٢٨) .

﴿ أءنا لمدينون ﴾(الصافات : ٥٣) . يقول ابن عطية [١] في تفسير الآية وهذا النحو من المعنى هو الذي يصلح في تفسير قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أي يوم الجزاء على الأعمال والحساب ، وفي الحديث الشريف " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت " رواه أحمد والترمذي وابن ماجة من حديث شداد بن أوس مرفوعاً .

ومعنى دان نفسه في الحديث أي راقبها وحاسبها واتهمها دائما فلم يخضع لها. وعن عمر رضي الله عنه في هذا المعنى " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا " . وقال لبيد في شعره :

حصادك يوما ما زرعت وإنما　　　يدان الفتى يوما كما هو دائنُ

وجاء في معنى دين أي القهر والغلبة والذل كما مر بنا وتقول دنته فدان أي قهرته فخضع وذل. ومن معاني كلمة الدين أيضا السياسة، والديان هو السائس ومنه قول ذي الإصبع العدواني :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسبٍ　　　يوما ولا أنت دياني فتغزوني

أي لست مدبرا لأمري أو سائسا يسوسني حتى تكون الغلبة لك علي ، ومن معانيها أيضا الحال أو السمت أي الهيئة. قال أبو الحسن النضر بن شميل

---

١ - انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تحقيق وتعليق الرحالي الفاروق وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين طبعة قطر. الدوحة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م جـ١ صـ ١٢١

(ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) سألت أعرابيا عن شيء فقال لي : " لو لقيتني على دين غير هذا لأخبرتك " أي إذا وجدتني على حال غير حالتي تلك لأخبرتك) وهذا يعني أن الدين يمثل الحالة النفسية للإنسان وهو مرتبط بالسلوك الباطني له وهو المسيطر عليه سيطرة كاملة ، وهكذا شأن الدين بالنسبة للإنسان وكما هو ملاحظ فإن مفهوم الدين واسع ومتعدد في معانيه وظلاله وذلك لأن الدين يشمل كل ما يهم الإنسان في الدنيا وفي الآخرة وهو ، كما قلنا ليس ظاهرة عابرة وإنما هو جوهر وقاعدة ، وهو أساس لوجود الإنسان على هذا الكوكب ومنطلقه أيضًا إلى العالم الآخر . ولولا الدين لما كان لوجود الإنسان على هذا الكوكب من معنى ولما كان لخلقه ووجوده في هذا العالم من هدف أو قصد أبدا .

وقبل أن ننهي كلامنا حول مفهوم كلمة الدين ينبغي ألا يفوتنا أن نذكر أن هذه الكلمة قد وردت في اثنين وستين موضعا في القرآن الكريم .

أربع مرات منها بصيغة " دينا " ، وإحدى عشرة مرة بلفظة " دينكم "، ومرتين اثنتين بلفظة " دينه " . وعشر مرات بصيغة " دينهم " ، وثلاث بصيغة " ديني " وفي سورة التوبة الآية : ٢٩ وردت كلمة الدين مرتين بصيغة الفعل والاسم معاً في قوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون با لله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم ا لله ورسوله ولا يدينون دين الحق ﴾ . ودين الحق هو الإسلام الذي بعث به جميع الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى محمد صلى ا لله عليه وسلم وهو دين ا لله الذي لا نجاة إلى باتباعه والتمسك بتعاليمه .

• الملة : AReligion

الملة بمعنى الشريعة والطريقة وتجمع على ملل . وردت الكلمة في القرآن الكريم بالمفرد في عشر مواضع ، مرة واحدة بلفظة " ملتكم " ومرتين " ملتنا " ومرتين كذلك بلفظ " ملتهم " . وكلمة ملة في الإشارات القرآنية تأتي مضافة إلى إبراهيم عليه السلام تارة ومرة واحدة إضيفت إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذلك كما في إعلان يوسف عليه السلام عن أتباع دين الله الواحد وملة الأنبياء الجامعة .

يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام ﴿ ... ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾(يوسف ٣٨).

ويذكر الراغب الإصفهاني الفرق بين الدين والملة بقوله :" الملة كالدين، وهو اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي عليه الصلاة والسلام الذي تسند إليه نحو : ﴿ فاتبعوا ملة إبراهيم﴾ آل عمران : ٩٥) ﴿ واتبعت ملة آبائي﴾ (يوسف : ٣٨) .. ولا تكاد توجد (أي الملة) مضافة إلى الله، ولا إلى أحاد أمة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تستعمل إلا في حَمَلِة الشرائع دون أحادها، لا يقال: ملة الله، ولا يقال: ملتي، وملة زيد كما يقال: دين الله ودين زيد، ولا يقال: الصلاة ملة الله"[١]، ويقول الراغب

---

١ - مفردات الفاظ القرآن ٧٧٣ - ٧٧٤

الإصفهاني أيضا أن الملة مأخوذة من أمللت الكتاب كما في قوله تعالى : ﴿وليملل الذي عليه الحق﴾(البقرة : ١٨٢) ثم يقول : وتقال الملة اعتبارا بالشيء الذي شرعه الله. والدين يقال اعتبارًا بمن يقيمه إذ كان معناه الطاعة وقد مر بنا كلام ابن عربي في أن معنى الدين هو ما يقوم به الإنسان عند تحقيق ما افترض الله عليه.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم ترد كلمة الملة بمعنى الفرقة، وبمعنى النظام والهيئة الاجتماعية أو الدينية أو السياسية عن معاوية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهذه الفرقة هي الجماعة التي تدين بدين ما ، هذا الحديث يشير إلى تفرق الأمم في هيئتها الاجتماعية ونظم حكمها ورئاستها وواقع العالم خاصة بعكس هذا ويؤكده ، وقد وردت الملة بمعنى دين الفطرة في قوله صلى الله عليه وسلم :"ما من مولود إلا يولد على الملة". وفي رواية على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه [١] ، ومعنى يعرب عنه لسانه: أي يفصح ويبين ما يكنه ضميره ويحيك في صدره .

• النحلة : Creed, Faith, Sect

النحلة وجمعها نحل ، مأخوذة من الفعل نحل أي وهب وأعطى عن طيب خاطر ورضا نفس، وانتحل الدين أو الرأي أي اعتقده وقد ظهرت

---

١ - الحديث رواه أحمد(جـ ٣ / ٤٣٥،٤ / ٢٤) والدرامي (جـ٢ /٢٢٣) وأبو يعلي(٩٢٤) والطبراني فى الكبير (٨٢٧ - ٨٣٥)، والبيهقي (٩/ ٧٧) عن الحسن عن الأسود بن سريع، وصححه ابن حيان (١٣٢) والحاكم(٢/ ١٢٣)

كلمة " نحلة" في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة المفرد وفي قرينة مهور النساء خاصة. قال تعالى:" وآتوا النساء صدقاتهن نحلة"(الآية :٤) وقد اختلف في معناها في هذا السياق القرآني على وجهين.

الوجه الأول: أن نحلة تعني عطية أو هبة. وقيل أن تقدير هذه الصدقة أو القدر من المال من الله عز و وجل للنساء وذلك لأنه تعالى جعل الصداق على الرجال و لم يجعل على النساء شيئاً.

والوجه الآخر: أن نحلة بمعنى شرعة ومنهاجاً مأخوذ من النحل أو الانتحال، وقد حسن هذا التوجيه ابن عطية في تفسيره[1]. وفي اصطلاح علماء الأديان أو الملل والنحل تأتي النحلة بمعنى الفرقة وابن حزم يستعمل كلمتي فرقة ونحلة على كمترادفتين[2].

• الهوى : Heretic Tendencies, Sectarian Thinking

الهوى هو بمعنى الغرض أو الرأي المغرض أو الميل والانحراف المتعمد عن الحق والبعد عن الصواب .

والهوى من عمل النفس الناكبة عن طريق الهدى والرشاد وبخاصة فيما يتصل بالعقيدة والدين .

وأهل الأهواء ، ويسمون أيضاً بأهل الزيغ ، أو أهل البدع أو المبتدعة ، ومن هؤلاء أيضا المشبهة والمجسمة وغيرهما من أهل الضلال الذين يقول الله

---

١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . جـ٣ ص٤٩٥

٢ - انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢ ص١٠٦

فيهم ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ . (آل عمران : ٧) .

وأهل الأهواء هم أهل البدع والملحدة في الدين، وقد ذمهم الله تعالى في القرآن الكريم فقال: ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا. أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ (الفرقان ٤٣، ٤٤) ففي هاتين الآيتين يبين الله تعالى أن من الناس من يتخذون الهوى إلهًا يسيطر عليهم و يقودهم إلى مواقع الهلكة في الدنيا والآخرة فالهوى إذا تمكن في القلب وسيطر على سلوك الإنسان يصير له بمثابة الإله أي في قوة الإله القادر القاهر المسيطر .

وقد ذم الله تعالى أيضاً من عبد هواه ، وكل طاعة للهوى عبادة للشيطان ودينونة له فالذي يعبد هواه كلما استحسن شيئاً من غير داعية الشرع اتبعه وزين له هواه هذا الشيء حتى صار له دينًا ومذهبًا يقول تعالى: ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ (فاطر:٨) ويقول : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدىٍ من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾(القصص:٤٩-٥٠)

فأصحاب الهوى لا دليل معهم ولا صدق عندهم وإنما هـم يضربـون في عماية من غير رسن ويمضون على غير هـدى وهـم أشـد النـاس ضلالـة لأنهـم اتخذوا الهوى إمامهم وإلاههم والهوى ليس شيئا أبدا وإنما هو الوهم ووسـاوس الشيطان .

وفي النهي عن اتباع أهل الأهواء يقول الله تعالى: ﴿ ثم جعلنـاك علـى شريعة من الأمـر فاتبعهـا ولا تتبـع أهـواء الذيـن لا يعلمـون ﴾(الجاثيـة ١٨) فالشريعة ذكرت في هـذه الآيـة في مقابلـة الهـوى والشـريعة هـي مجموعـة مـن التكاليف والأوامر والنواهـي والهـوى ليـس إلا مجموعـة مـن الضغـوط والعقـد النفسية التي تجعل الإنسان يكره الدين والمتدينـين ويحـارب الله ورسـوله بكـل سبيل. وفي هذه الآية يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يـلزم الوحـي وهـو الأصل وهو الزاد والعتاد، وأن يجـانب أهـل الأهـواء فهـم أهـل جهـل وعمـاء وعصبية والجهل يزين الباطل لصاحبه ويقبح له الحق والعصبيـة تجعـل صاحبهـا كالأعمى لا يرى النور ولا يرى ما يكشف عنه النور. والشريعة المأمور بها في الآية إنما هي منهج الله والصراط المستقيم والدين القويم والفطرة والإخلاص.

ثم يقـول الله تعـالى لنبيـه عليـه السـلام في نفس السـورة والسيـاق : ﴿ أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضلـه الله علـى علـم وختـم علـى سمعـه وقلبـه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفـلا تذكـرون﴾ (الجاثيـة : ٢٣) يدعو الله في هذه الآية نبيه ، ويدعونا معه للتعجب ممن عبد هـواه ودان له وذل وخضع ، فهواه هو الموحي له والمذين له وهو آمره وناهيه وهو معياره ومقياسه، ومنه يصدر صـاحب الهـوى عـن الآراء السـقيمة والأفكـار المريضـة

ومثل هذا المرء لا يأخذ قط بالبرهان ولا يتقيد بالدليل بل إنه يكابر حتى في المحسوسات والمشاهدات وبخاصة فيما يتصل با لله تبارك وتعالى وبالدين ، وذلك لأن ا لله قد ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة .

ويأمر ا لله تعالى نبيه صلى ا لله عليه وسلم أن يتوجه بهذه الدعوة إلى أهل الكتاب ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ (المائدة ٧٧) فا لله تعالى يأمر أهل الكتاب السابق بأن يلتزموا بالحق في تدينهم وأن يستعملوا قوتهم الذهنية والنفسية في العمل بما جاءهم عن ا لله على ألسنة رسله، وينهاهم عن الغلو في الدين، والغلو هو تجاوز الحد في الشئ المنهي عنه، أو المأمور به إفراطا أو تفريطا على حد سواء ، وهو من قولهم غلا السهم إذا تجاوز الغرض المقصود وابتعد عن الهدف المنشود فالمغالي في الدين هو المتجاوز لحدوده الشرعية شأنه في ذلك شأن من يضرب من وراء الهدف ولا يصوب نحوه والمتجاوز في البعد عن الدين هو الذي يبعد عن الهدف كلية ويضرب في طرق ملتوية وبعيدة عن الحقيقة فهو كالساعي وراء السراب .

ويبين الإمام علي كرم ا لله وجهه أن الالتباس بين الحق والباطل والخلط بين الصواب والخطأ إنما هو مصدر الأهواء وعمل أهل الأهواء الذين هم رءوس الفتن ومثيروا الشغب والجلبة بين المسلمين يقول الإمام في هذا الصدد:" إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع. وأحكام تبتدع . يخالف فيها كتاب ا لله. ويتولى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين ا لله فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتدين ولو أن الحق خلص من لبس الباطل لانقطعت

عنه ألسن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان ، فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى[١].

وجاء في معنى قوله تعالى : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء ﴾(الأنعام : ١٥٩). عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً من هم ؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال : هم أصحاب الأهواء، وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الأمة. يا عائشة ! إن لكل ذنب توبة، ما خلا أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة وأنا منهم بريء وهم مني برءاء[٢] " .

في هذا الحديث يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا يقبل توبة أهل الأهواء وأهل البدع والضلالة وهذا معناه كما يوحي به الحديث أنهم لا يتوبون أبداً ولا يقلعون عن مسلكهم الرديء ومنزعهم الوبيء في الكفر والترويج للأفكار الإلحادية التي أبعدتهم عن الله وعن صراط الله المستقيم وجعلتهم أعداء لأنفسهم وأعداء لمجتمعهم وأعداء للأمة الإسلامية بل للإنسانية جمعاء .

---

١ - نهج البلاغة جـ١ صـ٩٩ : ١٠٠. ومعنى المرتادين أي الطالبين أو الباحثين عن الشيء ومعنى ضغث أي قبضة مختلطة من الحشيش أو أعشاب الأرض.

٢ - أخرجه الترمذي، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ والطبراني، وأبو نعيم في حلية الأولياء والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن عمر بن الخطاب رضيى الله عنه. وانظر أبو إسحاق الشاطبي . كتاب الموافقات في أصول الشريعة . بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١١هـ/١٩٩١م جـ٤ صـ١٣١ .

• السنة : Sunna, The prophetic Tradition

السنة من الألفاظ المستعملة كثيرا في كتب الملل والنحل و المقالات والأهواء و الكتب الإسلامية بشكل عام. وهي في اللغة بمعنى الطريق والمنهاج أو الأثر الذي يقتفى أو المثل الذي يحتذى سواء أكان حسناً أو سيئاً . وفي الاصطلاح تطلق السنة ويراد بها كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير [1]. والسنة مصدر للتشريع ولها حجيتها كالقرآن الكريم بنص القرآن نفسه إذ أن هناك آيات كثيرة توجب على المسلم أن يطيع الرسول صلى الله عليه وسلم كطاعته لله وأن يأخذ عنه الأوامر والنواهي بالتسليم والقبول، وأن يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم إمامه ودليله في عقيدته وشريعته ومعاملاته وأخلاقه. ولقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن عن الله وبلغه كما تلقاه حرفًا حرفًا ، ولفظاً لفظاً وعبارة عبارة ، دون نقص أو زيادة، ثم بينه بأمر الله للناس سواء بقوله أو فعله أو تقريراته يقول تعالى : ﴿ ... وأنزلنا إليكَ الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (النحل: ٤٤) ﴿ وما أنزلنا عليكَ الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴾ (النحل : ٦٤) والبيان يقتضي الإلزام بما في القرآن واقتضاء العلم بما جاء فيه. وردت كلمة سنة في القرآن الكريم بهذا اللفظ في

---

١ - الآمدي الإحكام في أصول الأحكام جـ١ صـ٢٤١. ابن حزم الإحكام في أصول الأحكام - تحقيق أحمد شاكر. القاهرة دار الاعتصام جـ١ صـ١٣٨وما بعدها.

والأزميري مرآة الأصول. حاشية جـ٢ صـ١٩٦ وانظر أيضا المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية - عبد الكريم زيدان سـ١٩٠

اثني عشر موضعاً وردت مضافة إلى ضمير المتكلم مرة واحدة (الإسراء ٧٧) وبصورة الجمع سنن في موضعين(آل عمران : ١٣٧، النساء : ٢٦). فيكون بمجموع ذكرها في القرآن إذا خمسة عشر موضعاً لم تذكر في واحدٍ منها بالمعنى الاصطلاحي لها كما سبق ذكره .

والسنة في القرآن الكريم في مواضعها المختلفة تعني حكم الله ومنهج الله وتدبيره وقوانينه وأوامره، وقضائه وجزائه وقد تعني لفظة السنة الأمثال، جمع مثل، وقد تعني الحكمة يقول تعالى : ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين ﴾(الأنفال: ٣٨) أي قد مضت سنتنا ومعنى مضت سنتنا أي تقرر حكمنا وأبرم قضاؤنا في الأولين أنه إذا انتهى الكافر من كفره وتخلص من جحوده يغفر له ما تقدم من ذنبه ، وإن عاد في توبته ورجع إلى معهود كفره عذبه الله وأمضى فيه قضاءه وعقوبته . ويقول تعالى : ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾(الأحزاب : ٣٨) . أي ليس على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كإنسان من حرج ولا لوم في الأخذ بما أحل الله له والزواج بمن أمره الله أن يتزوجها وهي زينب بنت جحش أم المؤمنين رضيى الله عنها التي زوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة متبناه صلى الله عليه وسلم ثم طلقها زيد وتزوجها النبي بأمر الله ليضرب المثل ويقرر القاعدة الشرعية في إبطال التبني وأيضا ليرسي القواعد الخلقية في المساواة بين البشر وعدم التمييز بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح وهذه هي سنة الله فيمن مضى من خلقه من الأنبياء السابقين، والسنة هنا

بمعنى الحكم والقضاء، كما قال تعالى : ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾(الإسراء : ٧٧) ويقول تعالى : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين ﴾(آل عمران : ١٣٧،١٣٨). وفي هاتين الآيتين يخاطب الله تعالى المؤمنين ليثبت قلوبهم بعد الهزيمة التي ألحقها بهم الكفار في غزوة أحد مبيناً لهم أن المؤمنين قد يبتلون بهزيمة في معركة ما من المعارك ، ولكن النصر يأتيهم بعد هذا الابتلاء وذلك حتى لا يعول المسلمون في انتصارهم على الإيمان وحده بل ينبغي عليهم أن يعملوا للنصر وأن يستعدوا دائماً له نفسياً ومعنوياً وعملياً وتخطيطيًا فإنهم إذا فعلوا ذلك فإن العاقبة المحمودة تكون لهم والهزيمة المرة لأعدائهم وأعداء دينهم وهذا هو قانون الله الحق الذي لا يتخلف. . ومعنى "خلت " في الآية أي مضت وانقضت كواقع ولكنها باقية كعبرة وعظة لأهل الدين ولأهل المبادئ والقيم السامية حتى قيام الساعة .

والسنن : أي الطرائق من السير والشرائع والملك والفتن، وما شابه ذلك وسنة الإنسان أي عادته ومن ذلك قول خالد الهُزلي لأبي ذؤيب :

فلا تجزعن من سنةٍ أنت سرتها   فأول راضٍ سنة من يسُيرها

فالسنة إذاً بمعنى السيرة حسنة كانت أو سيئة والسيرة بمعنى الطريقة من السير وجمعها سير يقال الأخلاق والسير بمعنى السلوك والطريقة ومن شعر عبد المطلب جَد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعبـد الله وفينـا سـنة   صلـة القربى وإيفـاء الذمـم[1]

فصلـة القربـى وإيفـاء الذمـم كانتـا مـن أسمـى القيـم العربيـة والقرشـية وبالأخص الهاشمية وهي التي ورثها النبي صلى الله عليه وسلم فيمـا ورث عـن أبائه الأولين من القيـم الإنسانية الرفيعة الـتي دعمتهـا وآثرتهـا العنايـة الإلهيـة وبلغت بها حد الكمال في شخصه صلى الله عليـه وسـلم. فالسنة إذا بمعنى الخلق الحسن أو هي جماع مكارم الأخلاق .

---

١ - أبو الحسن علي بن الحسين ابن علي المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهـر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد(بيروت المكتبة العصرية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) جـ٢ صـ١٢٩.

• البـدعـة : Innovation, Heresy

تقترن البدعة دائماً بالسنة فهي المقابل لها والضد وجمعها بِدَع ويعرف ابن حزم البدعة بقوله :" كل ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نسب إليه صلى الله عليه وسلم، وهو في الدين كل ما لم يأت في القرآن الكريم، ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن منها مُا يؤجر عليه صاحبه ويعذر بما قصد إليه من الخير، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسناً وهو ما كان أصله الإباحة، كما روي عن عمر رضي الله عنه" نعمت البدعة هذه[١]" وهو ما كان من فعل خير جاء النص بعموم استحبابه وإن لم يقرر عمله في النص. ومنها ما يكون مذموماً ولا يعذر صاحبه وهو ما قامت الحجة على فساده فتمادى عليه القائل به[٢]".

في هذا النص يقسم ابن حزم البدعة من حيث الأصل والنسبة إلى نوعين: النوع الأول : البدعة أو الابتداع في السنة وهو إضافة قول أو فعل أو تقرير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سند أو دليل.

النوع الثاني : وهو الابتداع في الدين بمعنى الإتيان بما يخالف القرآن والسنة معًا، وخلع أسماء دينية أو إسلامية على أشياء أو مسميات ليست من الدين في شيء وهذا مجال واسع يجد فيه أصحاب المطامع والأهواء مندوحة ومرتعاً خصباً يبثون فيه سمومهم وينفثون مبادءهم الهدامة حيث أنهم يمسكون

---

١ - قال عمر هذا الكلام في صلاة تراويح رمضان فهي بدعة لغوية لا شرعية

٢ - انظر الإحكام جـ١ صـ٤٣

بالعصا من الوسط فهم يدخلون على الدين ما ليس منه ويلبسون على المسلمين ويجعلون الإسلام دينًا مطاطًا أو شيئا أشبه بكائن غير مخلق وذلك لكي يرضوا أهل الإسلام بزعمهم وينالوا رضى المصابين بالحساسية ضد الإسلام بوهمهم من ناحية أخرى .

يقسم ابن حزم البدعة من حيث الحكم إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : يتمثل في البدعة ذات القصد الحسن ، والتي يؤجر عليها صاحبها إن أحسن وأثمرت جهوده فيها ولكنه يعذر إن قصر أو أخطأ وذلك لأنه ابتدأ إلى الخير ونواه في نفسه ، وفي حديثه صلى الله عليه وسلم" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمريء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" متفق عليه. فالنية لها وزنها في الإسلام وهي التي تميز بين عمل المؤمن وعمل غير المؤمن وعليها أيضا يكون المعول في الحساب وفي الجزاء. فإن من عمل أعمالا عظيمة ومفيدة له أو لمجتمعه أو للإنسانية ولكن ليس بنية حب الخير والعمل لوجه الله الكريم فإن عمله هذا ليس له عليه أجر إلا في الدنيا فقط أما في لآخرة فإنه يصير هباء بل يصير حجة عليه فإنه بدلا أن يُسخّر نفسه وعقله وعلمه ويبذل قصارى جهده ووقته في خدمة الآخرين كان ينبغي عليه أن يصل بعقله هذا أيضًا إلى معرفة الله وطاعة الله والتدين بمنهج الله تبارك وتعالى ، إن مثل هذا الإنسان قد فضل أن يعيش برجل واحدة وأن ينظر بعين واحدة و لم يستعمل كل قواه لتوصله إلى مولاه تبارك وتعالى .

النوع الثاني : هو البدعة ذات القصد الحسن والأثر الحسن وعملها مما يؤجر عليه صاحبه، ويأتي هذا النوع من البدع فيما أصله الإباحة وليس له مجال مع وجود النص أو عندما يعارض قاعدة شرعية واضحة أو خلقًا إسلاميا ظاهراً يتمثل هذا الباب في أعمال البر والخير كلها وفي مصالح العباد المرسلة والمتجددة التي جاء النص بعموم الدعوة إليها والحض على فعلها وإلم يرد النص عليها بأعيانها. ويستشهد ابن حزم الأندلسي على هذا النوع بما ورد عن عمر رضي الله عنه بأنه قد جمع الناس على قاريء واحد في صلاة التراويح في شهر رمضان بالمسجد. روى ابن عساكر عن عبد الرحمن ابن عبد القاري قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر رضي الله عنه والله إني لأرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أُبي بن كعب قال ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون فيها يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله[1] " .

واضح أن عمر رضيى الله عنه قد سمى جمع الناس في صلاة التراويح على إمام واحد " بدعة حسنة ".

---

١ - ابن عساكر الدمشقي تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري (بيروت دار الكتاب العربي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص٩٨.

وإذاً فليس كل بدعة ضلالة ولا كل مستحدث خارج على الدين فقد اتفق الجمهور على أن البدعة تعني ما استحدث من الأمور حسنًا كان أو سيئاً. هذا بلا خلاف عندهم.

أما **النوع الثالث** من البدع عند ابن حزم فهو البدعة المذمومة الصادرة عن إنسان خبيث الطبع سيء القصد يهدف إلى الوضع في الدين لإثارة الفتن بين المؤمنين، ومثل هذا المبتدع لا يرتدع بحجة ولا يرجع إلى الحق ببرهان، وهو أضر على المسلمين من الكافرين ويجب على المسلمين التيقظ له، والترصد لأفعاله وأقواله، والعمل على مقاومته وفضح أغراضه ، وإلا ثقلت البلوى به وعمت الفتنة وضعفت شوكة المسلمين وتجرأ أعداء الدين على الدين وظهر منهم ما كان خافياً، فقد كان المنافقون يعملون خفية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما منافقوا زماننا فيعملون نهارًا وجهاراً ويستعدون على الإسلام بكل ما ألقى الشيطان وأعوانه من قوى وطاقات وإمكانات. وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه البدعة ببدعة الضلالة لأنها يخطط لها وتبث وتروج مزينة ومنمقة كي تخطف أبصار الناس وأسماعهم وتصل إلى نفوسهم وتؤثر فيهم.

عن عمر بن عوف رضي الله عنه قال أن رسول الله قال لبلال ابن الحارث يومًا : اعلم يا بلال ، قال : ما أعلم يا رسول الله ؟ قال: اعلم أن من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدي كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن ابتدع بدعة

ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا "[١] .

فالبدعة المذمومة في هذا الحديث مقيدة بكونها " بدعة ضلالة " لا يرضاها الله ورسوله.

قال الإمام الشافعي رحمه الله" ما أحدث وخالف كتاب أو سنة أو إجماعًا أو أثراً فهو البدعة الضالة؛ وما أحدث من الخير و لم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة" وفي شرح النخبة (صـ١٢٢)" البدعة شرعاً هي اعتقاد ما أحدث على خلاف المعروف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لا بمعاندة بل بنوع شبهة؛ وفيه إشارة إلى أنه لا يكون له أصل في الشرع أيضا ، بل مجرد إحداث بلا مناسبة شرعية ، أخذاً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو عليه رد " حيث قيده بقوله " ما ليس منه " وإنما قيل لا بمعاندة لأن ما يكون بمعاندة فهو كفر. والشبهة ما يشبه الثابت وليس بثابت كأدلة المبتدعين . وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي في شرح المشكاة في باب الإعتصام بالكتاب والسنة منه : [اعلم أن كل ما ظهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعة، وكل ما وافق أصول سنته وقواعدها أو قيس عليها فهو بدعة حسنة، وكل ما خالفها فهو بدعة سيئة وضلالة، والجميع على أن كل بدعة ضلالة وبعض البدع واجبة مثل تعلم

---

١ - الحديث رواه الترمذي وابن ماجة من طريق كثير بن الله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جده وقال الترمذي حديث خسن.

وتعليم صرف اللغة ونحوها لتعرف بهما الآيات والأحاديث، وما يشتمل عليه الكتاب والسنة، وما يتوقف عليه حفظ الدين والملة، وبعض البدع مستحسن ومستحب مثل بناء الأربطة والمدارس وما أشبهها وبعضها مكروه مثل تزيين المساجد والمصاحف وزخرفتها في قول البعض، ومنها ما هو مباح مثل التوسع في الطيب من الطعام والفاخر من الثياب بشروط حلها(أي أن تكون حلالا) وألا تكون سببا في الغرور والتكبر والتفاخر، وكذلك الشأن في المباحات الأخرى التي لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعض البدع حرام كمذاهب أهل البدع والأهواء أما ما فعله الخلفاء الراشدون مما لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدعة ولكنها حسنة بل هو في الحقيقة سنة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي " رضيى الله عنهم][1] .

ويجدر بنا أن ننبه هنا على أن هناك فرق بين الابتداع والاختراع وبين البدعة فالسيارة والطائرة والقطار وكل الأدوات الحديثة الطبية والعلمية والخدمية التي تَوصل الإنسان إليها واستخدمها في جميع مرافق حياته ومجالات أنشطته لا تعد بدع ولا تصنف ضمن البدع السيئة المشار إليها في الحديث ولكنها فقط تقيم باعتبار نفعها أو ضرها بالنسبة للإنسان ومدى اتفاقها أو معارضتها لشرع الله تبارك وتعالى، فإنها إن استخدمت الاستخدام الصالح

---

١ - انظر محمد علي الفاروقي التهانوي - كشاف اصطلاحات الفنون ترجمة الدكتور عبد المنعم محمد حسنين وتحقيق الدكتور لطفي عبد البديع (القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م) جـ١ صـ١٩١: ١٩٢

الذي يعين الإنسان على تحقيق أعماله وطموحاته وأعانتـه كذلـك علـى تأديـة الفرائض الشرعية ووفرت له الصحة والآمن والثروة المرجوة والـتي تعينـه علـى أن يكون عبداً صالحا لله ومواطنا نافعاً لمجتمعه كـانت هـذه المخترعـات نعمـة كبيرة يشكر عليها رب العالمين الذي سخرها لنا وما كنا لها مقرنين .

• الآراء : Opinions, Views

الآراء جمع رأي ويعرفها ابن حزم بقوله : " هو ما تخيلته النفس صواباً دون برهان ولا يجوز الحكم به أصلا "[١] ، أما الإمام الجويني فيقول فى تعريفه : " وأما الرأي فهو طلب الحق بضرب من التأمل ، وقيل هو استخراج صواب العاقبة " والصواب عند الجويني هو مصادفة المقصود أو إصابته ، وضده الخطأ والغلط [٢].

فابن حزم يعتبر الرأي تخيلا نفسيا ليس عليه برهان ويمنع الحكم بمقتضاه وهذا يتسق مع عقيدته الظاهرية فى إبطال الرأي والقياس والاستحسان. أما الإمام الجويني فيراه وسيلة في طلب الحق يستعان به بالتأمل أي بالقدرة العقلية وعمل الذهن أو التوصل إلى صواب العاقبة بالتأمل الذهني ، وتعريف الجوينى للرأى أقرب إلى الصواب من رأي ابن حزم لأنه لا يستبعد الرأي لمجرد كونه رأياً أو عملاً عقلياً بل يعتبره وسيلة أو أداة لتحصيل العلم الجازم .

ويعرف الكندي الفيلسوف الرأي بقوله إنه : " الظن الظاهر في القول والكتاب ويقال إنه اعتقاد النفس أحد شيئين متناقضين اعتقاداً يمكن الزوال عنه ، ويقال : إنه الظن مع ثبات القضية عند القاضي ، والرأي إذاً سكون الظن [٣].

ووردت كلمة رأي ومادتها رأى بصيغها المختلفة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم وبتتبع الكلمة يتبين لنا أنها تفيد الرؤيا البصرية في مواضع، والرؤيا العقلية أو القلبية في مواضع أخرى يقول الله تعالى في المعنى الأول :

---

١ - الإحكام جـ١ صـ٤١

٢ - الكافية في الجدل تحقيق فوقية حسين محمود (القاهرة - الباب الحلبي ١٣٩١هـ/١٩٧٩ م) ص ٥٨، ٣١

٣ - رسائل الكندي الفلسفية صـ١١٦

﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ (آل عمران : ١٣). هذه الآية نزلت لتثبيت قلوب المؤمنين المجاهدين ضد الكفار في غزوة بدر، وتخذيل كفار مكة ويهود ومنافقي المدينة المنورة. والرأي في الآية يفيد الرؤيا البصرية لا الرؤيا العقلية أو النفسية ولذلك تعدت إلى مفعول واحد. وأما بالنسبة للرأي بمعنى النظر العقلي والتقدير الذهني فيقول الله تعالى: ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ (هود: ٢٧). قرأ الجمهور" بادي الرأي" من بدا يبدو" بمعنى ظهر وقرأ أبو عمر الثقفي" بادئ الرأي" من بدأ يبدأ أما معنى بادئ الرأي في الآية ففيه وجوه : منها : ما نراك لأول وهلة وأقل فكرة إلا ومتبعوك هم أراذلنا وسفهاؤنا ومنها : وما نراك اتبعك هؤلاء الأراذل إلا في الظاهر أما في الباطن فهم ليسوا معك ومنها أيضاً : أنهم أي الذين اتبعوا نوحا عليه السلام قد تأثروا به لأول وهلة دون أن يقلبوا الرأي ويعملوا الذهن في دعوته يقصد الكفار أن يقولوا أن أتباع نوح لو تثبتوا وفكروا في أمره وتدبروا ما اتبعوه ، قد يكون قصد قوم نوح عليه السلام أنهم اتهموه بالسطحية وضعف الرأي وعدم القدرة على الإقناع والمعنى الأظهر أنهم ذموا من اتبعوا نوحا ورموهم بقلة العقل وضعف الرأي والإرادة وهذا هو دائما منطق أعداء الدين وخصوم النبيين والمصلحين يرمون كل من يخالفهم بالجمود والجهل وبضعف الرأي والتدبير وبالتأخر والرجعية وبالاستغراق في الغيبيات والأوهام والبعد عن الواقع، وما هذا إلى لقلة دينهم وشدة كفرهم وجراءتهم على الله تبارك وتعالى.

• المـذهب : Aschool of Thought, Doctrine

المذهب من ذهب يذهب أي اتجه أو توجه والذهاب السير والمرور، والمذهب المَتوضَأ لأنه يذهب إليه وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا اراد الغائط أبعد في المذهب، وهو مفعل من الذهاب، وقال الكسائي يقال لموضع الغائط الخلاء، والمذهب والمرفق والمرحاض. والمذهب المعتقد الذي يذهب إليه؛ وحكى اللحياني عن الكسائي : ما يُدرى له أين مذهب، ولا يدرى له ما مذهب أي لا يدرى أين أصله ، ويقال : ذهب فلان مذهباً حسنًا[1] .

المذهب في تعبيرات العلماء المشتغلين بدراسة الأديان يعني اعتقادات أهل الملل أو الفرق التي تقوم على الدين أو تنبع من أصل ديني أو تنتسب إلى دين بعينه ولو على سبيل الشبهة، وبهذا نفرق بين مذاهب الفلاسفة ومذاهب الفقهاء، فمذاهب الفقهاء تقوم على الفروع، ومذاهب الفلاسفة تقوم على الآراء وتنبني على الأصول، ومذاهب علماء الكلام تنبني على الاستنباطات الفكرية من الأصول العقدية. أما مذاهب أهل الأديان أو الفرق فهي مذاهب واجبة التسليم والإيمان بها واجب عند أهلها. ويقرر الجرجاني في كتابه التعريفات: " أن الشريعة من حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهباً، وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب ، أن الدين منسوب إلى الله ، والملة منسوبة إلى الرسول ، والمذهب منسوب إلى المجتهد"[2] ومن هنا قيل مذاهب الأمصار والمذاهب الفقهية ويقال لصاحب المذهب إمام .

---

١ - ابن منظور. لسان العرب جـ١ صـ٣٩٣، ٣٩٤

٢ - انظر ص ص ١١٧، ١١٨

• المقالات : Artictes of Faith, Creeds

المقالات مفردها مقالة وهي من القول والقول هو الكلام على الترتيب وهو عند المحقق كل لفظ قال به اللسان تامًا كان أو ناقصاً.

قال سيبويه: " واعلم أن قلت في كلام العرب إنما وقعت على أن تحكي بها ما كان كلامًا لا قولا ، " يعني بالكلام الجمل التامة كقولك زيد منطلق وقام زيد ، ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يبنى الكلام منها كزيد من قولك زيد منطلق ، وعمرو من قولك قام عمرو يقول ابن منظور فأما تجوزهم في تسميتهم الاعتقادات والآراء قولاً فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال، فلما كانت لا تظهر إلا بالقول سميت قولا، أو مقالة[١] .

المقالة فن من فنون الأدب ولها قواعدها وأصولها، وليس من غرضنا هنا أن نتناولها من الوجهة الأدبية، وإنما نتناولها من الجهة الكلامية، والمقالات بهذا المعنى عبارة عن آراء واجتهادات ومذاهب علماء الكلام. وكتب المقالات هي كتب علم الكلام، أو أصول الدين أو التوحيد. وقد تسمى المقالة بالمذهب أو الرأي، أو النظرية. يعرف ابن خلدون علم الكلام بقوله:" هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة ".[٢]

---

١ - ابن منظور - لسان العرب . جـ١١ صـ ٥٧١ صـ٥٧٢

٢ - انظر المقدمة جـ٣ صـ١٠٦٩

ولابن خلدون تعريف آخر يوضح هذا التعريف يقول فيه بأن : موضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع ، من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشُبه عن تلك العقائد[١] .

١ - نفس المصدر صـ١٠٨٢

الفــرق

أصلها ومنشؤها وعقائدها

تكلم القرآن الكريم عن التفرق والاختلاف بين أهـل الأديـان بـل وبـين أهل الدين الواحد قال تعالى: ﴿ إن الذين فرقـوا دينهـم وكـانوا شـيعا لسـت منهم في شيء إنما أمرهـم إلى الله ثـم ينبئهـم بمـا كـانوا يفعلـون﴾.(الأنعـام : ١٥٩) ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جـاءهم العلم بغياً بينهـم ولـولا كلمـة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أُورِثـوا الكتـاب مـن بعدهم لفي شك منه مريب﴾.(الشورى : ١٤) ﴿ وما تفـرق الذيـن أوتـوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمـة ﴾.(البينـة : ٤ ، ٥) ﴿ ألم يأن للـذين آمنوا أن تخشـع قلوبهـم لـذكر الله ومـا نـزل مـن الحـق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمـد فقسـت قلوبهـم وكثـير منهم فاسقون ﴾ . (الحديد : ١٦) وقال تعالى فـى نفس السـورة : ﴿ ولقد أرسلنا نوحـا وإبراهيـم وجعلنـا في ذريتهمـا النبـوة والكتـاب فمنهـم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾.(الحديد : ٢٦) وفي نفس السورة والسياق يقول تعالى عن النصارى وما أحدثوه في دينهم وابتدعوه في شعائرهم: ﴿ ورهبانيـة ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنـوا منهـم أجرهـم وكثير منهـم فاسـقون﴾.(الحديـد :٢٧) ويقـول تعالى: في شأن وحدة مصدر جميع الرسالات الإلهية واتفاق جميع الأنبياء عليها

واختلاف بعض أهل الآديان في أديانهم: ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾.(البقرة : ٢٥٣) في هذه الآيات وكثير غيرها ذكر الله تعالى هؤلاء الذين خرجوا على أصول الدين وتعاليم النبيين وأحدثوا للناس بدعا ورسموا لهم تعاليم كاذبة تبعدهم عن دين الله وتحول بينهم وبين فطرة الله، وكان من هؤلاء رؤس الفرق وأئمة البدعة والضلالة.

وقد وردت كلمة فرقة بهذه اللفظ فى القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة التوبة :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ . (التوبة :١٢٢) .

كما جاءت الكلمة بصيغ مختلفة منها فريق قال تعالى: ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾.(البقرة : ٨٧) وفي نفس السورة يقول تعالى:

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾(البقرة : ١٤٦) ويقول تعالى: ﴿ وإن منهم

لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ﴾ .
(آل عمران : ٧٨) .

ففي آيات سورة البقرة يبين الله تعالى لنا أن أصحاب الأهواء دائماً يتبعون أهواءهم وأنهم يقفون من الأنبياء موقف الخصومة والمعاندة وذلك لأن الأنبياء يأتون بالقيم والمثل، وهؤلاء لا ترضيهم هذه القيم والمثل، إنها بالنسبة لهم تأتي بالجدب والضيق والفقر، أما الهوى ففيه سعة لهم وبحبوحة وانطلاق ، هكذا يخول لهم الشيطان ويهمزهم بمهمازه ليرتعوا في مرعى الهوى الوبئ ، فهم كالسوائم التي تلتذ بما تتناوله وتنتفخ به بطونها ولا تدرى أن في ذلك الهلكة والحتف الأليم والمهين. وفي نفس السورة أيضاً حكى الله لنا أن أهل الهوى ربما يعرفون الحق ولكنهم يكتمونه ، ويعلنون الباطل ويتبعونه، كما فعل اليهود بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم فهم قد جحدوا نبوته وهى أظهر لهم من بنوة أبنائهم وبناتهم بالنسبة لهم ، و يظهرنا الله تبارك وتعالى على سر ما في قلوب هؤلاء الضالين المضلين الذين يلقون في روع العامة أنهم علماء وأنهم متمكنون من كتب الديانة ونصوصها وتفاسيرها. وهذه طريقة في الخطاب يحاولون بها مخادعة الناس عن الحق فهم يلوون ألسنتهم بكلام لفقوه وذوقوه حتى ظن بعض الناس أنه من كلام الله وما هو من كلام الله وإنما هو من كلامهم الذى دسوه وأقحموه على كلام الله تعالى .

وهذا الوصف القرآني " يلوون ألسنتهم " فيه دقة ومعرفة راسخة بأسرار نفس المخادعين فهم دائمًا يعتمدون على تزويق الكلام، فلي الألسنة

فيه إشارة إلى المهارة في تثقيف اللفظ أو العبارة أو مخالفة الناس في المألوف حتى يتم لهم مقصدهم من التغرير بالناس.

ومن صيغ الكلمة المذكورة في القرآن الكريم أيضاً يفرقون ، يتفرقون ، يفرق ، فراق ، تفريق ، فرقان .

والفرقة وإن وردت بلفظها في القرآن إلا أنها تختلف في معناها عن المعنى المراد في دراسة الفرق والملل والنحل . فالفرقة على المعنى الأخير تعني الطائفة أو المجموعة من الناس الذين خرجوا من عموم الدين وانفصلوا عن جمهور المؤمنين، واشتغلوا ببدع أحدثوها وآراء اخترعوها، ومقالات لفقوها ثم حملوها على الدين زورا وبهتاناً، وقد تتحول مثل هذه المقالة الطائفية أو اعتقادات الفرقة إلى دين قائم بذاته يدعون إليه، ويحملون المغترين به على اعتناقه كما هو الشأن بالنسبة للقاديانية والبابية والبهائية وغيرها من الفرق التي خرجت جملة عن الإسلام ولا يزال لها أتباع من السذج والجهلاء أو من علماء الظاهر المغرورين الذين جهلوا أسرار علم الله تعالى، وما يجب على العلماء فيه.

والفرقة عادة تنشأ صغيرة ثم تكبر، ضعيفة ثم تقوى، وضيقة ثم تتسع وتتشعب. وتنسب الفرقة غالبًا إلى مؤسسها أو مؤسسيها الذين يضعون لها أصولها ويحررون منهجها وعقائدها. وقد تعرف الفرقة بالمكان الذي نشأت فيه أو تنسب إلى العقيدة التي تدعو إليها. وتظهر الفرق عادة بعد موت القائم بالدين وهو النبي أي نبي عليه السلام، وذلك لأن وجود النبي بين قومه وتبليغه

لدعوته بنفسه وشدة تأثيره المباشر على مستمعيه والمتلقين منه، وتأيده بالوحي يمنع أو يعرقل أو يحد من ظهور الفكر الطائفي المعادي لدعوته أثناء حياته. غاية ما يحدث في حياة النبي أن ينقسم المجتمع مثلا إلى كفار ومؤمنين، وأهل دين أو أديان سابقة ومنافقين مذبذبين بين هؤلاء وهؤلاء، أو أدعياء نبوة كذابين. وهذا هو ما كان عليه المجتمع الإسلامي كمثال على ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وبعبارة أوضح لم توجد طوائف أو فرق تدعي النسبة إلى الإسلام في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما وجد متنبئون كذبة ومنافقون جبناء يخزلون ويشككون من وراء ظهر النبي صلى الله عليه وسلم. وفي حديث الفرق الذي سنعرض له ونناقشه تنبأ النبي صلى الله عليه وسلم بظهور الفرق بين المسلمين بعد وفاته كما ظهرت الفرق بين اليهود والنصارى بعد وفاة نبييهم موسى وعيسى عليهما السلام.

من دراستنا للأديان نلاحظ أن الفرقة لا تستقر دائما على أفكار مؤسسها الأول ، أو على الأفكار المبكرة في حياة دعوتها، بل إنها تنقسم وتتشعب إلى مجموعة من الفرق الصغيرة التي يمكن أن نطلق عليها طائفة. ويكون أهل هذه الفرقة الذين انفصلوا عنها أو انتسبوا إليها بخيط رقيق مختلفين ليس فقط في الآراء والمعتقدات بل أيضاً في الممارسات والشعائر وعادة ما يكون اختلافهم هذا نابعًا من تفسير وتأويل النصوص الدينية التي قد يسلم بها الجميع،وعلى هذا فالطائفة تعتبر بنت الفرقة أو فرعها وجزؤها، والطائفة تتميز عادة عن الفرقة بأفكارها المحدودة وبالرباط القوي الذي يجمع بين أتباعها ، وبالاصطباغ بالصبغة العملية الشعائرية Practical and ritual التي تتميز بها عن غيرها .

بعض هذه الفرق والطوائف قد استقل عن الدين الأم تماما وانسلخ من تعاليمه البتة، وألبس نفسه من ثم ثوب الدين، وتسمى باسم الديانة ، وبعض هذه الفرق قد ادعى أتباعها ألوهية مؤسسها، وقد يكون المؤسس نفسه هو الذي ادعى تلك الرتبة البعيدة والمستحيلة تحققا وطبعا ، وبعض رؤوس هذه الفرق زعم النبوة لنفسه وادعى العصمة من العيوب والذنوب كبيرها وصغيرها، ولنا شواهد تاريخية على ذلك من غلاة طوائف الخوارج والمرجئة ، والسبئية وغلاة الشيعة، والإسماعيلية، والقرامطة، والدروز والقاديانية والبابية والبهائية، فقد أله أتباع هذه الفرقة أئمة كفرهم واستبدلوا دين الله بدين كبرائهم الذي وضعوه لهم وأبعدوهم به عن منهج الله وصراط الله المستقيم وأبدل هؤلاء أقوامهم كلام الله تعالى بكلام لهم ذوروه ولفقوه ادعوا أنه جاءهم وحيا من الله وادعى بعضهم نسخ ما سبق من كلام الله بما في ذلك القرآن، كما استبدل هؤلاء الضالون المكذبون بشعائر الدين الأم شعائر لهم تقوم على المفاسد والمناكر، والكفر والملحدة. ومن الواضح أيضا من دراسة الأديان أن الفرقة وإن انسلخت من دين بعينه وزعمت الانتساب إليه تقية وتعمية فإنها تفتح فاها على كل الأديان والعقائد والمقالات والأساطير السائدة تلتهم منها وتلتقط من أعشابها وخشاشها ما تشكل به عقيدتها وترقع من خلاله نظريتها.

فالفرق المنتسبة للإسلام على سبيل المثال قد أخذت من اليهودية والمزدكية والزرادشتية ، ومن ديانات وفلسفات وأساطير اليونان ، وفارس والهند والصين ، وبعض هذه الفرق يعتنق عقائد جد معادية للإسلام

والمسلمين ، بل إن بعضها قد دفع به وخطط لظهوره لتحقيق أهداف معينة ضد الأمة وضد الدين سواء لتحطيمه أو لتشويهه وفل شوكته، وما ضعف المسلمين في جانب كبير منه إلا نتيجة لما نفثه وينفثه أهل هذه الفرق والطوائف وأشياعهم من سموم ، تختلف في ألوانها وعقائدها ، وتوجهاتها ولكنها جميعا رصدت لعمل واحد وهو الحط على الإسلام وإضعاف شوكة المسلمين وتمزيق وحدتهم .

وفي قرينة ذكر الفرقة والطائفة من المفيد أن نقول أن مجموعة عقائد وأعراف الفرقة والطائفة تسمى بالمذهب ، والمذهب بهذا المعنى يختلف عن مذهب الفقهاء الذي قلنا من قبل أنه مجموع استنباطاتهم واجتهاداتهم في فروع المسائل الشرعية . والإسلام بالذات من بين الأديان كان ولا يزال غرضا لسهام مثل هذه الفرق ، وذلك لأن الإسلام هو الدين الكامل والشامل الذي يستغرق بتعاليمه شئون الحياة وأمور الآخرة معًا ولا يترك فراغا لغيره فيملؤه ولا يترك أتباعه في حاجة إلى شيء غير ما جاء به اللهم ما تقتضيه أحوال الحياة المتجددة، ولا يقبل الإسلام كذلك وجود قوة أو سلطة بشرية أعلى منه تحول بين المرء و ربه أو تنحرف به عن الطريق المستقيم .

ويرجع ظهور مثل هذه الفرق في التاريخ الإسلامي وخروج معظمها عن ملة الإسلام في نظر ابن حزم الأندلسي وغيره من علماء المسلمين إلى سبب سياسي إذ يقرر ابن حزم أن إيران القديمة (فارس) كانت تسعى دائما لضرب الإسلام من داخله وذلك بعد أن عجزت عن مواجهة المسلمين

عسكريا ، وكان الإيرانيون أهل عزة ومنعة وسطوة لدرجة أنهم كانوا يعتقدون في أنفسهم أنهم وحدهم الأحرار وباقي الأمم عبيدا لهم ، وكانوا ينظرون إلى العرب بصفة خاصة نظرة ازدراء واحتقار .

يقول أصحاب هذا التفسير ، أن قوما من الفرس قد أظهروا الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبتهم لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنكار الظلم الذي وقع على علي بن أبي طالب وأهل البيت وتدرجوا بهم حتى أوصلوهم إلى الكفر الصراح وإلى الخروج جملة عن الملة والشريعة فنشروا بينهم فكرة وجوب الاعتقاد في قيام المهدي المنتظر الذي لا يعلم الدين الحق إلا هو وذلك بغرض إبعادهم عن الأخذ من الصحابة الذين رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على العقيدة الصحيحة ومنحهم من القوة والعلم ما يضمن به بقاء أمته وظهور شوكة المسلمين، أعلن هؤلاء الخارجون كفر الصحابة وبخاصة أبي بكر وعمر بن الخطاب رضوان الله عنهما.

لقد زيّن الفرس لفريق من المسلمين القول بالحلول وسقوط الشرائع والتكاليف جملة، وتأليه علي بن أبي طالب، وهكذا حتى أحدثوا الفرقة بين المسلمين وهيئوا المناخ اللازم لظهور الفرق والطوائف في البلدان الإسلامية.[1]

وإذا كان ابن حزم قد ركز على إيران وحدها وهو نفسه ذا أصل إيراني فيما نعتقده، فإننا لا يمكن أن نغفل العوامل والقوى الأخرى التي ساعدت

---

١ - الفصل في الملل والنحل جـ١ صـ١٠٨ صـ١٠٩

على ظهور الفرق وعملت بنشاط في العالم الإسلام وبين المسلمين ، ومن هؤلاء اليهود والنصارى وأصحاب القوى السياسية القديمة والحديثة التي رأت في الإسلام قوة لا تقاوم عسكرياً فلجأت إلى سياسة التفريق بين أهله ودس عناصر التخريب الديني والفكري والسياسي والاجتماعي بين أفراد الأمة.

ويبين الشهرستاني أصل التفرق في الدين ومنشأ الفرق فيقول : " أن من المعلوم الذي لا مراء فيه أن كل شبهة وقعت لبني آدم فإنما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم ووساوسه نشأت من شبهاته، وإذ كانت الشبهات محصورة في سبع، عادت كبار البدع والضلالات إلى سبع (كذلك). ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور. ويرجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص هذا ومن جادل نوحاً وهوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم أجمعين، كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم إذ لافرق بين قولهم أبشر يهدوننا وبين قوله أأسجد لمن خلقت طينا، وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز الافتراق كما هو في قوله تعالى: ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (الإسراء : ٩٤). فبين أن المانع من الإيمان هو نفس هذا المعنى كما قال في الأول ﴿ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أن خير منه﴾

وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم ﴿ أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ (الزخرف : ٥٢) . وكذلك لو تعقبنا أحوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم (البقرة : ١١٨). فاللعين الأول لما أن حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق أو حكم الخلق في الخالق ، والأول غلو والثاني تقصير ، فثار من الشبهة الأولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غالوا في حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال. وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا في وصفه تعالى بصفات المخلوقين. فالمعتزلة مشبهة الأفعال والمشبهة حلولية الصفات، وكل واحد منهم أعور بأي عينيه شاء فإن من قال إنما يحسن منه ما يحسن منا، ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الخالق بالخلق. ومن قال يوصف الباري تعالى بما يوصف به الخلق ، أو يوصف الخلق بما يوصف به الباري عز اسمه فقد اعتزل عن الحق. وسنخ[1] القدرية طلب العلة في كل شيء وذاك من سنخ اللعين الأول إذ طلب العلة في الخلق أولاً، والحكمة في التكليف ثانياً والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثاً. وعنه نشأ مذهب الخوارج إذ لا فرق بين قولهم لا حَكَمَ إلا الله ولا يَحكُمْ الرجال وبين قوله(أي إبليس) لا أسجد إلا لك أأسجد لبشر

---

١ - سنخ وجمعها أسناخ معناها أصول وسنخ السكين طرف سيلانه الداخل في النصاب . وسنخ النصل الحديدة التي تدخل في رأس السهم . وسنخ السيف سيلانه (لسان العرب جـ٣ ص٢٦) .

خلقته من صلصال. وبالجملة كلا طرفي قصد الأمور ذميم، فالمعتزلة غالوا في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات، والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام. والروافض غالوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول . والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال . وأنت ترى أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول وتلك في الأول مصدرها وهذه في الآخر مظهرها، وإليه أشار التنزيل في قوله تعالى: ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾(النور :٢١). وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من الأمم السالفة. فقال القدرية مجوس هذه الأمة. وقال المشبهة يهود هذه الأمة. والرافضة نصارها (أي نصارى هذه الأمة). وقال عليه الصلاة والسلام جملة:" لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه". [١]

ويؤكد الشهرستاني على أن الشبهات التي وقعت في الزمان الأول بواسطة الكافرين والملحدين هي هي بعينها تلك التي تقع في الأزمنة المتعاقبة وبالطبع في زماننا هذا ويحلل الشهرستاني الفكر المعادي للدين وللنبيين فيقول أن المقرر" في زمان كل نبي ودور كل صاحب ملة وشريعة أن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والمنافقين، وأكثرها من المنافقين، وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادي الزمان

---

١ - الشهرستاني الملل والنحل بهامش كتاب الفصل لابن حزم جـ١ صـ١٩: ٢٣

فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي عليه السلام ، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه، وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه[١].

بعد هذا العرض التحليلي لنشأة الفرق وتطورها نتناول بصفة خاصة حديث الفرق كما ورد عن النبي صلى الله، وقد روى حديث إفتراق الأمم من عدة طرق وعدة أسانيد تختلف في لفظها، على سبيل المثال لا الحصر. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل تفرق بنوا إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة كلهم في النار، إلا ملة واحدة. قالوا يا رسول الله من الملة الواحدة التي تنقلب (أي تبعد عن النار ويحال بينهم وبينها) قال: ما أنا عليه وأصحابي".

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة."

---

١ - نفس المصدر ص٢٣، ٢٤

بمراجعة سريعة للأحاديث المروية في افتراق أهل الأديان الثلاثة وعدد فرقهم يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين أو أثنتين وسبعين فرقة اختلفت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما زاد عن السبعين، وأن النصارى افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، وأمة المسلمين تفترق على ثلاث وسبعين كلها هلكى إلا واحدة وهي أهل السنة والجماعة ، والعدد المذكور في الحديث ليس يراد على حقيقته ، وإنما هو إشارة إلى أن عدد الفرق الدينية المنتسبة لأي من الأديان الثلاثة اليهودية، والنصرانية والإسلام ، لا يقل عن هذا العدد لكنه بالقطع يزيد عليه ، إذ كلما ابتعد الناس عن أصل الدين وكلما ضعف اليقين وانتشرت البدعة زادت الفرق . إننا لا يمكن أن نأخذ العدد في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بحرفيته وإلا لصادم ذلك واقع الفرق المذكورة، إذ أن عددها في كل ملة يتجاوز بالقطع الاثنين أو الثلاث والسبعين بل إنه قد يبلغ المئتين بين أتباع كل دين، فعبد القاهر البغدادي وحده مثلا من بين كتاب الفرق يذكر في الفرق بين الفرق ما يزيد عن المائة فرقة بالنسبة للإسلام وحده.

وقبل أن نعرض لدراسة الفرق اليهودية يجدر أن ننبه على أمر له أهميته وهو أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم فيما يخص الأمة الإسلامية لا يعني اختلاف علماء المسلمين في مسائل الفروع ، فهذا اختلاف فيه رحمة وتوسعة على المسلمين، وعن طريقه يستطيع الإسلام أن يواكب التغيرات والحوادث المتجددة التي تؤثر في حياة الأفراد وتتطلب حلولاً عاجلة وحاسمة، وينبغي أن نراعي أن المخالف في الفروع حتى لو أخطأ بعد الاجتهاد" له أجره مرة ، وإن

أصاب فمرتين". هذا عكس المخالف في العقائد والأصول فإنه يخرج عن الدين جملة وذلك كمن يخرج عن إجماع أهل السنة والجماعة فيما سلموا فيه واستقروا عليه كالتوحيد والعدل والصفات والقضاء والقدر والوعد والوعيد... إلخ .

وليس يقل عن ذلك أهمية أن ننبه على أن التنوع بين أهل السنة والجماعة، الذين هم الناجون، لايعد تفرقاً ولا أهله يعدون من أهل الفرق كذلك، إذ أن التنوع بين أهل السنة والجماعة هو كالتنوع في المهن بين طبقات الجماعة الواحدة والتنوع في المهن تقتضيه مصلحة الجماعة وحاجاتها وهكذا التنوع بين أهل السنة. والتنوع في وجهات النظر بين العلماء كالتنوع في الأطعمة والأغذية والأشربة النافعة التي يحتاجها الجسم وتتطلبها سلامته.

وقد حصر عبد القاهر البغدادي أهل السنة والجماعة في ثمانية أصناف كالتالي :

١- المتكلمون

٢- أئمة الفقه بجماعتيهم، أهل الرأي، وأهل الحديث

٣- المحدثون.

٤- الأدباء وأهل اللغة

٥- القراء وعلماء القراءات والمفسرون.

٦- الزهاد والصوفية الذين أخذوا أنفسهم بأدب القرآن والسنة.

٧- المرابطون ، المجاهدون الذين يحمون الثغور ويدافعون عن الأمة الإسلامية وأرضها وأعراضها.

٨- عامة المسلمين ممن حسن اعتقادهم واستقامت طريقتهم على السنة وهم الذين سمتهم الصوفية حشو الجنة.[١]

هذه هي أصناف أهل السنة والجماعة الثمانية الذين يجمعهم الإسلام وتربط بينهم وتشدهم جميعًا كلمة التوحيد ويحكمهم كلام الله تعالى وسنة رسوله الله صلى الله عليه وسلم .

وقد شمل هذا التصنيف علماء الأمة على اختلاف مجالاتهم واهتماماتهم رغم ما قد يكون بين بعضهم من خصومات أو اختلافات غير عقائدية .

وقد ذكر البغدادي المرابطين والمجاهدين ضمن هذه الأصناف لا على أنهم أصحاب مدارس فقهية أو اتجاهات مذهبية وإنما لأنهم يحمون الأمة وعقيدتها ولآنه بدونهم لا يتوفر الأمن الذي هو دعامة العلم والدين وبه استقرار المجتمع وتأسيس حضارته وإبراز هويته والحفاظ عليها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصنف الثامن في قائمة مؤلف " الفرق بين الفرق " " وأصول الدين " ، ليسوا هم العامة الجهلة الذين لا يعرفون للدين حرمة ولا للأمة حقًا، وليس لهم وازع من الضمير أو الأخلاق ، فهؤلاء هم من أهل الضلالة ومن أتباع كل ناعق بالرذيلة زاعق بالأهواء ساعٍ في هدم اركان القيم داعٍ إلى القيم الهابطة والمتع الرخيصة والشهوات السامة القاتلة .
أمَا وقد أتممنا عرض ومناقشة ما تسنى لنا من مصطلحات علم مقارنة الأديان نتناول بعد ذلك الحديث عن اليهود تاريخهم ، أنبيائهم ، كتبهم ، وعوائدهم المتنوعة والمختلفة .

---

١ - الفرق بين الفرق ص ٣٠٠ - ٣٠٣

اليهود والديانة اليهودية

اليهودية ديانة سابقة على الإسلام زمنيا ولكنها أقل منه من حيث الأتباع والتأثير العالمي .

تقوم الديانة اليهودية على أساس التوارة وكتب أنبياء اليهود الأخرى بصفة عامة وبالرغم من أن اليهودية تجمع في طياتها معالم الديانة ، وبالرغم من أن لها كتبا ونصوصا مقدسة وشبه مقدسة ولها تاريخ طويل ، كذلك فإنه من الصعب جدا إن لم يكن من المستحيل أن نجد تعريفا محدداً لها ، أو حتى صياغة قريبة من روح هذه الديانة. كما أنه من الصعب كذلك أن نصادف لها عقائد ثابتة كتلك التي يقوم عليها الإسلام نعني أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان المبينة في القرآن والسنة النبوية المطهرة. واليهودية لا تقوم على التوراة وكتب الأنبياء فحسب بل تقوم كذلك على آراء الأحبار المدونة في التلمود الذي يحتوي على مسائل تفصيلية حول الديانة والكتب اليهودية ، وتاريخ وحياة وتقاليد اليهود عبر عصور كثيرة. وإنه لمن الصعب في هذه الديانة أن نفرق فيها بين النبي والحبر أو الكاهن أو الحاخام من حيث المكانة والتأثير، أو بين تقديس اليهود لنصوص التوارة ونصوص التلمود. واليهود كذلك لا يمثلون أمة، وليست جمعهم رابطة قومية معينة بالمعنى الدقيق للفظة، ولا نظام واحد وذلك برغم ما لهم من تجمع وتأثير على المجتمع العالمي والسياسة العالمية والتي استرعت وتسترعي أنظار الباحثين في أنحاء العالم. [١]

---

1. Peterson, Roland, Everyone is Right, (Amirca, Deuorss and Company, 1986) pp. 78 ff

وبالرغم من ظهور دولة اليهود في العصر الحديث فإن الشعب اليهـودي لا يمثل شعباً بالمعنى الدقيق للكلمة وذلك من حيث التجانس العرقي والقومـي والثقافي والاقتصادي ، ومن حيث التوجهات السياسية والدينية فهـؤلاء الذيـن يعيشون في إسرائيل لا يجمعهم ربـاط قومـي وإنمـا ربـاط عنصـري أو سـكاني هكذا يمكن أن نسميه ، وأيضًا فإن المصـالح المشـتركة والمصير الواحـد الـذي تحتمه الظروف المشتركة تجمع بينهم كذلك إن التفرقة العنصريـة واضحـة بـين اليهود في إسرائيل فاليهود هناك يعاملون ليس علـى أسـاس العقيـدة وحدهـا ، وإنما بحسب الموطن أو المواطن التي جاءت منها جموع اليهود أو بحسـب اللـون أو الطبقة.[١] أما بالنسبة للقـرآن فـاليهود هـم أتبـاع أو أمـة موسـى النبي عليـه السلام ولهم أنبياء آخـرون مثـل إسـحاق ويعقـوب ويوسـف وداود وسـليمان عليهم السلام . ويسمى اليهود في القرآن ببني إسرائيل وهي التسمية الأدق التي تطلق على اليهود وإسرائيل هو نبي الله إسحاق عليه السلام ابن سيدنا إبراهيـم عليه السلام من سارة وأخو سيدنا إسماعيل من جهة أبيه إبراهيـم وابـن هـاجر عليها السلام ، وهذه التسمية تجمعهم فكما سنتبين قريبًا أن كلمة يهود معناها انتسابهم إلى فرع واحد أو سبط واحد من أسباطهم وهو سبط يهودا أو يهوذا وبالتالي فهذه التسمية لا تشملهم جميعًا ويسمى اليهود كذلك بالعبرانيين وهـم يزعمون أن ديانتهم تنتهي إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السـلام الـذي يعتبرونـه أبوهم ومؤسس دينهم ولذلك فهم يبنون نصوصهم الدينية وتاريخهم كله علـى هذه القاعدة، بل ويردون أصل تسميتهم بالعبرانيين وتسمية لغتهم بالعبريـة إلى

2 - A.J Arbberry. Religion in the Middle East. Cambridge press 1969 Vol 1 pp3ff

عبور إبراهيم عليه السلام نهر الأردن واستعماله لهذه اللغة. ومما ينبغي معرفته في هذه القرينة أن مجموعة كتب العهد القديم مكتوبة باللغة العبرية القديمة باستثناء دانيال (٢ - ٦) وفقرات من عذرا(٤ - ٧) فإنها كتبت بالآرامية. واللغة العبرية هي إحدى اللغات السامية(الأكادية بفرعيها، البابلية والسريانية، والعربية بفرعيها الشمالي والجنوبي، والإثيوبية أو الحبشية، وعلى الجانب الآخر اللغة الكنفانية بفروعها المتنوعة والآرامية وتابعتها المتأخرة، السريانية ، أو غيرها.[١] ويعتبر التلمود والمدراش أن إبراهيم كان أول من عرف الله وهدى الناس إليه وهم يعنون بذلك ليس تمجيد إبراهيم فحسب وإنما تأكيد زعمهم أيضا في أنهم أول أمة متدينة وأول أمة تتلقى وحيا عن الله، لكن الله تعالى يكذب اليهود في زعمهم يهودية إبراهيم كما يكذب النصارى في دعوى أن إبراهيم كان نصرانيا يقول تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا﴾ (آل عمران : ٦٧) أما معنى اليهودية فإنها مشتقة من هاد الرجل إذا رجع من خير إلى شر أو العكس، وهاد إذا رجع إلى عقله، ويهود اسم للقبيلة قال الشاعر :

أؤلئك أولى من يهود بمدحة   إذا أنت يوما قلتها لم تؤنب

فعرب الاسم بقلب الذال دال جريا على عادة العرب في تبني الألفاظ والأسماء غير العربية، وإن كان ابن سيدة يضعف هذا التوجيه رغم قربه صوتيا من اسم يهوذا أحد أسباط بني إسرائيل. وقالت العرب " اليهود " بإدخال

---

3 - Tenney, Merrill, C (ed) the Zondervan Pictonial Ency clo Paedia of the bible, (U. S. A.) Zondervan Publishing House (1972) Vol. 3 p. 66

الألف واللام عليها على إرادة النسب يريدون أن يقولوا " اليهوديين ". وقوله تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ (الأنعام : ١٤٦) معناها دخلوا في اليهودية . وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم ﴾ (البقرة : ١١١) يريد " يهودا " بحذف الياء الزائدة، وفي قراءة أبي بن كعب" إلا من كان يهوديا أو نصرانيا".

وجمع اليهود ، يهود ، كمجوسي ومجوس، وعجمي وعربي كعجم وعرب. وهَوَّدَ الرجل أو المرأة حوَّله أو حوَّلها إلى ملة يهود . استدل سيبويه على ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أن كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، ".بمعنى يعلمانه دين اليهود أو دين النصارى ويدخلانه فيه بالطرق والشعائر المعروفة بينهم .[1]

يعتبر القرآن وثيقة إلهية دامغة في التاريخ الديني لليهود من بين أهل الأديان بصفة خاصة فقد تكلم الله تعالى في الكتاب العزيز عن أنبيائهم وكتبهم ومعجزاتهم وما جرى لأنبياء الله وآخرهم عيسى عليه السلام على أيدي اليهود ، ومدى ما عاناه هؤلاء الأنبياء في سبيل هدايتهم وجمعهم على الله تعالى ، ولقد صفى القرآن الكريم قصص الأنبياء مما علق بها من شوائب وافتراءات في كتب اليهود كما هو الحال في قصة لوط وسليمان عليهما السلام بصفة خاصة.[2] كما أشار القرآن كذلك إلى النعم الكثيرة التي ربى الله بها بني إسرائيل ، النعم المادية والنعم الروحية وإلى العصيان والجحود اللذين

---

١ - لسان العرب جـ٣ صـ٤٣٩ : ٤٤٠. وابن عطية المحرر الوجيز جـ١ صـ ٤٥٠

٢ - انظر على سبيل المثال سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر

قوبلت بهما هذه النعم . كذلك فند الله تعالى المزاعم والجرائم والمخالفات اليهودية التي وقعت منهم على مدى تاريخهم الطويل، والعقوبات التي أنزلها الله بهم من جراء هذه الأفعال. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد صحح القرآن كثيرا من التفسيرات النصرانية الخاطئة لنصوص العهد القديم التي بنوا عليها مزاعمهم في الصلب والتجسد والفداء والكفارة ... إلخ .

إن الآيات القرآنية التي تتحدث عن اليهود كثيرة من حيث العدد وهي تغطي مساحات زمنية واسعة كما أنها تتناول موضوعات شتى تتصل باليهود سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة.[1]

والآن نتناول أهم كتب اليهود التوارة التي نزلت على أهم وأعظم أنبيائهم موسى عليه السلام ثم نتحدث عن كتب اليهود الأخرى بعد ذلك .

---

١ - انظر بحثي عن اليهود واليهودية في القرآن والسنة باللغة الإنجليزية(تحت الطبع).

التــوارة

Torah, Mosaic law or sharia, The pentateuch

التوارة هـي كتـاب ا لله تعـالى أنزلـه علـى موسـى عليـه السـلام لهـداية اليـهود خـاصـة .

قال تـعالى : ﴿ وءاتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ .

(سـورة الإسراء الآية : ٢) والكتاب هو التوارة وقـد ورد في القـرآن الكريم ثمانية عشر مرة بهذا الاسم(توارة) تارة بمفردها وتارة مقترنة بـالإنجيل أو بالإنجيـل ، والقرآن أو الكتـــاب والحكمـة . علـى سـبيل المثـــال يقـول ا لله تعالى : ﴿ ا لله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بـالحق مصدقـا لمـا بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ... ﴾(آل عمران الآية : ٢ - ٤) هذه الآيات تنص بإحكام على تنزل القرآن بـالحق مـن لـدن الرحمن شأن كل ما أنزل ا لله تعالى من كتـب علـى الأنبيـاء السـابقين ، وهـذا القرآن إنما جاء مصدقًا وشاهدًا بإلهية الجميع أصـول هذه الكتب الـتي ذكـرت فيه : التوارة ، والإنجيل ، والزبور ، والصحف ، وكلمة توراة في كتبهم تحمـل عدة معان .

١- القانون أو مجموعة القوانين .

٢- الأحكام والأقضية .

٣- التوجيه ، وبالأخص التوجيه ، من مسئول أو ذي سلطان .

وقد تنسب التوارة بهذه المعاني تارة إلى موسى والأنبياء وتارة أخرى إلى القضاة والكهنة .

اختلف العلماء في أصل كلمة توراة ، هل هي عربية أم عبرية ؟ فذهب الكثير منهم إلى أن الاسم أصله عبري كما سنبينه بعد قليل ، لكن النحويين وأهل اللسان حملوه على الاشتقاق العربي فقالوا التوارة مشتقة من ورى الزند يَرِي إذا قدح وظهرت ناره ، يقال أوريته فورى أي قدحته فانقدح، ومنه قوله تعالى:﴿ أفرأيتم النارَ التي تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ (سورة الواقعة : الآية ٧١ ، ٧٢) .

وعند الخليل بن أحمد وسيبويه أن(التوراة) على وزن فوعلة كحوقله وحوصلة أصلها وَوْرية أو وَوْراة قلبت الواو الأولى تاء كما قلبت في تولج الذي أصله وولج من ولجت بمعنى انقدحت .

وقد استدرك ابن عطية في تفسيره على هذا التوجيه الأخير بقوله : "وإنما ينبقى أن تكون توراة من أوريت الرباعية فهي تورية[1] وقيل غير ذلك مما لا يفيد إثباته هنا".

واضح إذن أن فريقًا كبيرًا من اللغويين والنحاة العرب يردون أصل لفظة توراة إلى اللغة العربية، ولسنا نستبعد ذلك وإن كنا لا نؤكده وعلى أي حال

---

١ - انظر الراغب الأصفهاني - مفردات الفاظ القرآن - تحقيق صفوان عدنان داودي- ص١٦٨ وابن منظور لسان العرب جـ١٥ - ص٣٨٩ وابن عطية - المحرر الوجيز جـ٣ ص ٩- ١٢

فاللغتان العبرية والعربية من أسرة لغوية واحـدة. هـذا وقـد تكـون اللفظـة مـن أسماء الأعلام التي حفظت برسمها ودخلت العربية بشكلها الذي ربما تغير يسيرًا ليوائم تركيب وجرس اللغة المنقول إليها، هذا وسوف يكون لنـا وقفـة أخـرى عند اللغة التي كتبت بها التوارة .

ولننظر الآن ماذا يقول اليهود أو الكتابيون في معنى كلمة توراة .

التوراة : معناها القـانون (Law) أو الأقضيـة والأحكـام وهـي كلمـة عبرية مشتقة من horah ومعناها يبين أو يدل على الطريق الصحيح .

علـى أن هنـاك رأيًـا آخـر يقـول أن كلمـة تـوراة Torah مـأخوذة في الأصل من كلمة Yarah بمعنى يلقـي أو يقـذف وبالتـالي فـإن كلمـة horah السابقة الذكر معناها، كما اقترح البعض، رمى الأزلام أو السهام المقدسة التي كان يلقيها الكهنة لمعرفة أو تأكيد إرادة الله تعالى في الأمر المقصود، إذا كـان هذا الرأي صائبًا فمعنى كلة توراة إذن إنما هو الاتجاه الذي يحدده السهم لمعرفة إرادة وحكم الله في قضية أو مسألة ما.

وكانت التوراة تعني في البداية التعاليم أو الأحكام الشفهية التي يصدرها النبي موسى عليه السلام أو الكهنة وإليها يحتكم الإسرائيليون في شئون حيـاتهم ولم تكن تعني قط شريعة أو قانونًا مكتوبًا. وقد ظهرت كلمة شريعة أو "تـوراة" في أسفار العهد القديم(كتب اليهود) لأول مرة في سفر الخـروج الـذي جـاء فيه : " إن الشعب يأتي إليّ ليسأل الله إذا كان لهم دعـوى يـأتون إليّ فـأقضي بين الرجل وصاحبه وأعرفهم فرائض الله وشرائعه"[1] فكلمة شرائع جمع شـريعة

---

١ - سفر الخروج ١٨ : ١٣- ١٦

التي هي على مفهوم التوراة قد استعملها موسى عليه السلام إذن من قبل أن تنزل التوارة بالمعنى الدقيق للكلمة، وما كان يصدر عن النبي موسى من أقضية وأحكام ووصايا وتعاليم إنما هو من قبيل ما كان يصدر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من سنة قولية أو عملية.

تمثل هذه الفقرة بداية الشريعة اليهودية وبواكيرها، وينبغي أن ننبه هنا على نقطة مهمة وهي أن بني إسرائيل كانوا في بداية حياتهم يحتكمون إلى الشريعة التي هي بمعنى القرارت والأحكام الصادرة من القضاة أو المسئولين الدينيين الذين كانوا يبنون حكمهم على أساس العوائد والحوادث الماضية لجماعة اليهود، والتي كانت أشبه بالأعراف القبلية ، منها بالقوانين والتعاليم الإلهية .

وقد عين موسى عليه السلام قضاة بدرجات متفاوتة للفصل في الخصومات التي تقع بين الإسرائيليين، وكان هؤلاء القضاة المعينون يقضون في المسائل الصغيرة أو البسيطة التى تعرض للشعب ، أما الخصومات الحاسمة والمسائل الكبرى فكان الشعب يرجع فيها إلى موسى عليه السلام نفسه.

وقد شكلت مجموعة هذه الأقضية والقرارات المتزايدة مصدرًا مهمًا من مصادر القوانين الجنائية والمدنية عند اليهود يرجع إليها عند الحاجة، وفي كتب العهد القديم نلاحظ أيضًا أن القوانين والأقضية قد اصطبغت إلى حد ما بصبغة خلقية تضمنت تشديدًا بالغًا على ضرورة العمل بها وتطبيقها. و لم تلبث هذه القوانين أن اصطبغت مع مرور الزمن بصبغة القداسة [1].

---

١ - جاء في سفر الخروج ٦ - ١٩ (وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة...)
هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل وفي التثنية ٤ - ٣٥) إنك قد أريت لتعلم أن الرب هي الإله ليس آخر سواه

إن اهتمام اليهود بالتوراة يفوق اهتمامهم بباقي كتب العهد القديم ، فإن التوراة تشتمل على تاريخهم وشريعتهم وطريقة حياتهم، وقواعد وأسس الإيمان عندهم.

ويعتقد الأصوليون من اليهود أن التوارة بالذات وحي أنزله الله تعالى على موسى وأنها وثيقة إلهية أعطاها الله لنبيه موسى عليه السلام، وأنها تمثل العقد أو القلادة لمجموع كتبهم المعتمدة عندهم.

وفي سفر التكوين ٥ : ٢ ويوشع ٢٤-٢٥ وأخبار الملوك ٢ ٢٣: ٢-٣

وفي نحيميا ١٠ : ١ فإن التوارة تسمى التوراة " عهد أو ميثاق بين يهوا (الله) وشعبه " ولذلك فهي تعتبر عندهم " قدس الأقداس " .

وقد حيكت أساطير كثيرة حول أهمية التوارة ومكانتها على سبيل المثال الزعم بأن التوراة قد كتبت بنار سوداء على ألواح من نار بيضاء ، وزعم بعضهم أن التوراة كانت تتربع في حجر الله . وغالى الكباليون أكثر فزعموا أن التوراة بنت الإله .

ويعتقد عامة اليهود أن الله أعطى التوراة لبني إسرائيل كمكافآة لهم على طهارة عرقهم وسلامة نسبهم ، وقد حسدتهم جميع شعوب الأرض لإختصاصهم بالتوارة[1] . أما بالنسبة لموقف المسلمين من التوراة وكتب اليهود فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في عدة مواضع في القرآن ، أشرنا إليها فيما

---

1 - Louis Ginzberg. The legends of the Jews(philadelphia. 1968) Vols 13 III 153, 239 also G. schdem. Sabbatai Seve London 1917) P. 159.

سبق ، أنه أعطى موسى التوراة وأعطى داود الزبور ، وقد ذكر الله تعالى أيضًا أن اليهود حرفوا التوراة ونسوا حظًا مما ذكروا به وقد أوقع الله تعالى مسئولية التحريف على الكهنة والأحبار الذين كانوا يستأثرون بالتوراة دون العامة ؛ والأدلة كثيرة على هذا التحريف أجملها ابن حزم الأندلسي في الأنواع الستة التالية :

١- التجديف على الله وخلع صفاته عز وجل على بعض المخلوقين.

٢- معلومات جغرافية وتاريخية غير واقعية ويكذبها البرهان.

٣- تناقضات كثيرة تحتوي عليها كتب العهد القديم وخاصة فيما يتصل بمواليد ونسب وأعمال آباء بني إسرائيل.

٤- قضايا غير خلقية كشيوع الزنا بين المحارم بل وأعضاء الأسرة الواحدة بما فيهم حتى الأنبياء وذرياتهم ومحارمهم.

٥- أعمال الزنا والفحشاء والمناكر التي تضمنتها هذه الكتب دون نكير مما أضعف صبغتها الإلهية وجعلها أقرب إلى الكتب الإنسانية.

٦- أعمال الكذب والخداع التي تظهر بوفرة في هذه الكتب مما يجعل القارئ يشعر وكأنه يطالع كتبًا في تدبير المكائد والمؤامرات السياسية.[1] ومن العجيب تناقض هذه الأقوال مع ما جاء في التوارة وغيرها من كتب اليهود أيضًا في تحريم الزنا والعهارة واللواط .

١- انظر ابن جزم - الفصل جـ١ ، ص١٦٥ وما بعدها وابن ميمون دلالة ص٦٩٢

حجم التوراة :

إن الله سبحانه وتعالى لم يحدد لنا حجم التوارة في القرآن الكريم ، وبالتالى فإننا لا نعرف كم كان عدد كتبها أو أبوابها وآياتها كما نعرف ذلك يقينًا بالنسبة للقرآن.

فالقرآن يتكلم عن توراة أنزلت على موسىٰ عليه السلام بعبارات تفيد أن التوارة بالمفهوم القرآني قد نزلت على موسى مكتوبة.

يقول تعالى في سورة الأعراف ﴿ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة﴾(١٤٤ - ١٤٥).

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا أنه اصطفى موسى على الناس ، أي أهل زمانه ، بالرسالة أي النبوة التي بعثه بها، وبكلامه الذي أوحاه إليه وفي الآية أن الله عز وحل أمره أن يأخذ ما أتاه تعالى وهو الوحي والتنزيل.

وجملة " فخذ ما أتيتك" تفيد أن المأمور بأخذه شيء مادي ، ويقوي هذا المعنى ما حاء بعده من ذكر الألواح " وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء".

ثم يأتي الأمر الإلهي في سياق الآية ليقول" فخذها بقوة " فكلمة خذ " كسابقتها تفيد أن المأمور بأخذه كان شيئًا ماديًا ككتاب أو لوح ونحوهما.

ولا يفوتنا هنا أن ننبه على أن المكتوب في الألواح قد اشتمل على كل شيء بيانًا وتفصيلاً وأنه قد احتوى على المواعظ والقوانين والأخلاق ولكن

ينبغى أن يكون واضحًا أن المراد بقول الله تعالى : ﴿ وتفصيلاً لكل شيء ﴾ ليس معناه العموم على الإطلاق ، بل المراد به أن الألواح قد اشتملت على كل شيء ينفع المكلفين بها في معنى الشرع ، ويحتاج إليه في المصلحة ، في حينه وإلا فشريعة موسى عليه السلام خاصة باليهود وهي منسوخة بالقرآن الكريم .

اختلف العلماء في تحديد عدد الألواح ونوعها فزعم بعضهم أنها كانت من زمرد، وبعضهم على أنها كانت من ياقوت أحمر أو من خشب والعلم بعدد الألواح ومادتها لا ينفعنا كما لا يضرنا الجهل بهما، ولذلك أمسك الله تعالى عن ذكرهما في القرآن الكريم.

استعمل القرآن كذلك لفظة " نسخة " في حق الألواح أو التوراة ، يقول تعالى :

﴿ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ (الأعراف ١٥٤) . ومعنى في نسختها أي في المنسوخ فيها أو فيما ينسخ منها ويقرأ ، ونسأل هل كانت الألواح تحتوي على التوراة ، أم على شيء آخر ؟ الغالب أنها كانت تشتمل على التوراة، وابن عباس يفسر الألواح على أنها التوراة .

وإذا كان القرآن قد اكتفى بذكر طريقة نزول التوراة والمادة التي كتبت عليها والأحكام والوصايا التي تضمنتها، فإن اليهود أو الكتابيين يطلقون

التوراة على الخمسة أسفار الأولى من كتب العهد القديم وهـذه الأسفار هـي بالترتيب حسب ثبوتها عندهم :

١- سفر التكوين .

٢- سفر الخروج .

٣- سفر اللاويين .

٤- سفر العدد .

٥- سفر التثنية .

سفر التكوين : Genesis

هو أول كتب التوراة الخمسة وأول كتب اليهود والنصارى المعروفة بالكتاب المقدس على الجملة . ويعرف سفر التكوين في اللغة العبرية بيريشت Bereshit يعني في البدء . وقد أخذ هذا السفر اسمه من الكلمة الافتتاحية " في البدء خلق اله تعالى السموات والأرض " . وكانت الأرض خربة وخالية على وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان نور . ورأى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة . ودعا الله النور نهارًا والظلمة ليلاً . وكان مساء وكان صباح يومًا واحدًا ... " (١:٢-٥).

تدور الإصحاحات من الأول إلى الحادي عشر حول خلق الكون من بدايته حتى تمام خلقه . في هذه الإصحاحات نطالع معلومات مفصلة عن خلق الكون الأحياء والجمادات، خلق آدم ، ومعصيته وسقوطه وظهور أول معصية

يرتكبها الإنسان على الأرض ، عن الطوفان وإنجاء الله للخليقة عن طريق نوح عليه السلام الذي صنع الفلك بأمر الله وحمل فيه من كل زوجين اثنين للمحافظة على الكائنات الحية من إنسان وحيوان وطير وغير ذلك .

عن برج بابل واختلاط اللغات وتشعب اللغة الإنسانية وظهور اللغات المتعددة وتفرق الجنس البشري من ثم إلى أجناس مختلفة جاء في الإصحاح الحادي عشر " وكانت الأرض كلها لسانًا واحدًا ولغة واحدة وحدث في ارتحالهم شرقًا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك . وقال بعضهم لبعض هلم نضع لبنا ونشويه شيًا فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر مكان الطين وقالوا هلما نبني لأنفسنا مدينة وبرجًا رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسمًا لئلا نتبدد على وجه كل الأرض فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنوا آدم يبنونهما وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتدائهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه .

هلما ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعى اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض " . (تكوين ١١ : ١ - ٨) .

يعطينا هذا النص عدة نقاط :

١ - أصل اللغات وتشعبها .

٢ - توزيع سكان الأرض وتفريق الخليقة .

٣ - بداية اتخاذ الأبنية والمساكن .

ونلاحظ أن التعليل الذي يقدمه النص لاختلاق اللغات وانتشار البشر في جميع أنحاء الارض واختلافهم لا يستقيم مع منهج الله عز وجل وسموه وتعاليه ، فهو يصور الله على أنه شخص غيور غار من بني آدم بسبب تعلمهم فن البناء والعمارة ومقدرتهم على تأسيس المدن والأبراج ويجعل الله ينزل بنفسه ليحارب البشر ويبددهم بسبب هذه الغيرة .

والصحيح ما أورده الله في القرآن الكريم إذ يحض الله تعالى عباده على طلب العلم واكتساب المعرفة والخبرة على عمارة الكون واكتشاف أسراره والتأمل في معاجزه وآياته وبخلاف التوراة يقرر القرآن أن الله تعالى قد نوع في خلق الإنسان شعوبًا وقبائل ليتعارفوا فأنشأهم من الأرض وبثهم واستعمرهم فيها لعمارة الكون لا بسبب الغيرة والانتقام ، والتضييق ، ثم إن القرآن بخلاف التوراة أيضًا قد جعل اختلاف اللغات آية من آيات الله عز وجل . يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (الحجرات : ١٣) .

وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل

بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ (الروم ٢٠ - ٢٢) .

أما الإصحاحات من الثاني عشر إلى الإصحاح الخمسين فتروي تاريخ آباء الجنس البشري ، وهجرة إبراهيم عليه السلام من ميسوبوتاميا (العراق) إلى أرض كنعان حيث دخل عليه السلام في عهد مع الله تعالى أن يخدمه بإخلاص ودأب في مقابل أن يورثه الله هذه الأرض الجديدة (فلسطين) هو وذريته من بعده .

ويحتوي هذا السفر أيضًا على تأكيد العهد الذي أبرمه الله مع إبراهيم عليه السلام بالنسبة لإسحاق ويعقوب اللذين ارتحل عنهما أبناؤهما الإثنا عشر مؤقتًا إلى مصر بسبب المجاعة المروعة ، وهؤلاء الأبناء هما كان شكلوا إسرائيل الإثنا عشر . يتكلم السفر كذلك عن مستقبل الشعب العراقي ومن الملاحظ على سفر التكوين أنه ليس من وحي الله تعالى لموسى عليه السلام ولا هو من كلام موسى نفسه . فعبارته تدل على أن شخصًا أو أشخاصًا ما قد وضعوه بعد أن لملموا مادته من أكثر من مصدر مما أحدث فيه تخلخلًا وتضاربًا واختلافًا شديدًا وبخاصة فيما يتصل بأعمار الآباء.

ولقد توصل النقاد المحدثون إلى أن هذا الكتاب ليس من عمل موسى كما يدعي اليهود وفي الحقيقة أن ابن حزم الأندلسي قد سبقهم إلى تقرير ذلك كما بينته في رسالتي للدكتوراة التي تقدمت بها إلى جامعة إكستر بالمملكة المتحدة والتي أعكف الآن على ترجمتها إلى اللغة العربية.

وبينما يؤكد ابن حزم ان هذا الكتاب موضوع ، ولا يمت إلى موسى بصلة فإن النقاد المحدثون قد توصلوا إلى ما قرره ابن حزم قبلهم بقرون عدة وقد تم على أيدى النقاد الغربيين فى العصر الحديث اكتشاف ثلاثة مصادر لهذا السفر ولكتب التوراة الخمسة كذلك على أيدى النقاد الغربيين فى العصر الحديث رمزوا لها بهذه الحروف الثلاثة. J. E. P. كتب الأول منها في القرن التاسع والثاني فيالقرن الثامن والثالث ترجع كتابته إلى مرحلة ما بعد الخروج.

سفر الخروج : (Exodus)

وهو الكتاب الثاني في ترتيب كتب التوراة والعهد القديم ، وسمي بهذا الاسم لأن الإصحاحات الخمسة عشر الأولى منه تتحدث عن خروج الإسرائيليين من مصر ويسمى في العبرية شيموت (Shemot) ومعناها الأسماء ، وقد أخذت هذه التسمية من الكلمة الأولى للعبارة الافتتاحية " وهذه أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر مع يعقوب " .

ويستمر سفر الخروج في عرض قصة الخلق وبخاصة تشكيل الأمة العبرانية . حيث يصف الاضطهاد الذي عاناه اليهود في مصر وظهور النبي موسى عليه السلام كمخلص لهم كما في الإصحاحات الأربعة الأولى .

وقد تم خروج اليهود من مصر بعد سلسلة من حوادث الطاعون العشرة التي سلطها الله تعالى على فرعون وكذلك المعجزات التي أجراها الله لموسى كما في الإصحاحات من ٥ - ١٢.

ثم يتكلم هذا السفر كذلك عن وصول اليهود إلى جبل سيناء وعن كلام الله مع موسى وتجليه له على الجبل والذي مهد لتأسيس الدولة الدينية لليهود، وعن الوصايا العشر وعن القوانين الأخرى التي تضمنها ما يسمى بكتاب العهد (إصحاحات ١٩ - ٢٣) .

رحلة موسى عليه السلام على الجبل(إصحاح ٣٢) والعجيب أن هذا الإصحاح يسند عملية صنع عجل الذهب إلى هارون عليه السلام ويزعم كاتبه أنه هو الذي صنعه بيده وصوره بالأزميل ودعى اليهود إلى عبادته وبنى له مذبحًا أمامه وقال : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك " وفيه أيضًا أن اليهود " بكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب" وهذا لا يليق بنبي من أنبياء الله وأخ لنبي من أنبياء الله الذين أرسلهم الله بديانة التوحيد وتخليص اليهود من عبادة الأوثان[١]، والتوراة تصرح بنبوة هارون عليه السلام وقد نزه الله تعالة نبيه هارون عليه السلام في القرآن عن الكفر الصريح والعمل القبيح بإسناد عملية صنع العجل إلى رجل آخر اسمه السامري وكما سجل كذلك اعتراض هارون على ذلك الكفر الصريح .

قال تعالى : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى، قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم

---

١ - انظر ابن حزم ، كتاب الفصل في الملل والنحل جـ١ ص١٢٧ وما بعدها ، د. نور شيف رفعت " اليهودية من وجه نظر ابن حزم رسالة دكتوراة ٢٤٣ - ٢٤٥ " .

السامري . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارًا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري"(طه٨٣ - ٩٠).

ويتكلم سفر الخروج كذلك عن جمع موسى لبني إسرائيل وإبلاغهم بما سمعه من الله على جبل سيناء ، وعن السبت الذي جعله الله لهم عطلة لا يعملون فيه وعن عقوبة الذى يتعدى فى السبت كل من خرق السبت يقتل وعن الأضحية والتقدمة وعن خيمة الاجتماع وذلك بالأوصاف التي حددها الله لهم وعن الشعائر المصاحبة لخيمة الاجتماع وتابوت العهد (إصحاح ٣٥ - ٤٠) .

وبينما يسند اليهود سفر الخروج إلى موسى عليه السلام يؤكد نقاد العهد القديم أنه ينطبق عليه ما ينطبق على سفر التكوين والذي سبق أن أشرنا إليه حيث يحمل هذا السفر أدلة كثيرة على أنه ليس وحيًا ولا هو من عمل موسى عليه السلام ، وإنما كتبته أيدي مختلفة في عصور مختلفة وبطرق مختلفة جعلت السفر يبدو وكأنه مقطعات أو متفرقات جمعت ووضعت تحت هذا العنوان ، وسوف نقدم أمثلة على الأخطاء والشنع التي يحتوي عليها هذا السفر.

سفر اللاويين : (Leviticus)

ويسمى بالعبرية vayikra ومعناه نادى (And he called) وهذا هو الكتاب الثالث في ترتيب كتب التوراة وكتب العهد القديم بشكل عام وقد سمي بذلك لأنه يتعامل في معظمه مع الكهنة اللاويين " ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلًا كلم بني إسرائيل وقل لهم إذا قرب إنسان منكم قربانًا للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم ... ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هارون الكهنة ويرشون الدم مستديرًا على الذبيح الذي لدى باب خيمة الاجتماع ... إلخ " (١ : ١ - ٦) .

يختلف هذا السفر عن أسفار التوراة الأخرى في أنه موجه كله للحديث عن القوانين الشرعية والطقوس الشعائرية ... ويمكن أن يقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام رئيسية :

١- الأوصاف التفصيلية لأنواع التقدمات والمحرقات والقرابين ، وذبيحة السلامة وذبيحة الخطيئة وذبيحة إنتهاك حرمة الرب الإصحاحات(١ - ٧) .

٢- تقديس هراون وبنيه وتوليتهم مهمة الكهانة الإصحاحات(٨ - ١١) .

٣- القوانين الخاصة بالحيوانات الطاهرة والحيوانات النجسة ، وما يحل منها للأكل وما لا يحل بما في ذلك قوانين المناسبات الدينية ويوم التكفير (إصحاحات ١١- ١٦) .

٤- القانون المسمى بقدس الأقداس والتطهر من النجاسة(إصحاحات ١٧ - ٢٦). ركز كاتب هذا السفر على مكانة الكهنة ودروهم في الحفاظ على

هوية اليهود. والعجيب أن الكتاب في هذا الموضوع يعطي تفصيلات تجعله أشبه بكتب الفقه أو بكتب التلمود يعنى أنه لا يحمل سمات الوحي.

إذ أن الوحي يتعامل مع الكليات أو التفصيلات التي لا غنى عنها والتي يعرضها الوحي بطريقته التي تختلف عن كتابات البشر. ويظهر أن كاتب الإصحاح الخامس عشر كان عدوًا للمرأة ومتشددًا ضدها إذ أن هذا الإصحاح يحتوي على أصار(جمع إصر) وأغلال تكبل المرأة وتعزلها عن مجتمعها بل وعن أسرتها وتجعلها نجسة نجاسة عينية في وقت حيضها ونفاسها أو استحاضتها. إذ جاء في هذا الإصحاح(١٩-٣١) وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دمًا في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من مسها يكون نجسًا إلى المساء كل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجسًا وكل ما تجلس عليه وكل من مس فراشها يفسد ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء وكل من مس متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بالماء ويكون نجسًا إلى المساء وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسه يكون نجسًا إلى المساء وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه نجسًا سبعة أيام وكل فراش تضطجع عليه يكون نجسًا، وإذا سال بعد طمسها ستكون كل أيام سيلان نجاساتها كما في أيام طمثها أنها نجسة كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها وكل الأمتعة التي تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمثها وكل من مسهن يكون نجسًا فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهم إلى

الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها فتعزلان بني إسرائيل عن نجاستها لئلا يموتوا في نجساتهم بتنجيسهم مسكني الذي في وسطهم ".

ويختم هذا السفر بملحق عن النذور والعشور... إلخ(إصحاح ٢٧).

رغم أن هذا الكتاب يختلف في أسلوبه بعض الشيء عن كتب التوراة الأخرى إلا أنه لا يخرج عنها كثيرًا وذلك من حيث طريقة التعبير وسرد القواعد والقوانين الفقهية. ويعتقد اليهود أن موسى هو مؤلف هذا الكتاب وأنه ألفه على جبل سيناء إلا أن النقاد المحدثين ينفون نسبته هو الآخر إلى موسى عليه السلام ، ويقطعون بأنه كتب في مرحلة لاحقة بعد وفاة موسى عليه السلام بزمن طويل ، والشواهد النصية في الكتاب نفسه تؤيد ذلك .

سفر العدد : (Numbers)

ويسمى بالعبرية بيميد بار (**Bemidbar**) ومعناها في التيه ، وهو الكتاب الرابع من كتب التوراة وكتب العهد القديم وقد أعطى هذا الاسم بناء على إحصاء عدد بني إسرائيل " وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول اشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً إحصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء كل ذكر برأسه من ابن عشرين سنة فصاعدًا ... إلخ : (١ : ١- ٣) .

وكما هو واضح فقد أخذ هذا السفر اسمه من الآية الأولى من هذا الإصحاح.

واصل كاتب سفر العدد كلامه من خاتمة سفر الخروج وعلى مدار ثمانية وثلاثين عامًا وهي الفترة التي تاه فيها الإسرائيليون في البرية حيث فرض الله عليهم بعض القوانين الخاصة بالمناسبات الدينية إصحاحات(١ - ١٠).

بعدها جاء الكلام عن وصف أعمال اليهود في التيه من سيناء حتى قادش ومن قادش إلى موآب(١١:١٠ - ١٩). ثم غزو العموريين(١٠: ٢١).

وأخيرًا وصول اليهود إلى شكيم قبالة جيركو (حبرون) حيث وقف موسى عليه السلام ينظر إلى الأرض المقدسة ، وحيث عقد الخلافة لفتاه يوشع بن نون ويضم هذا السفر كثيرًا من أسماء البلاد والمحلات التي نزل بها اليهود والتي تخرج الكتاب بوضعها هذا عن كونه وحيًا أنزله الله ، وتجعلنا نقدر بحق أنه من عمل بشر كان همه تحديد المواقع الجغرافية وتعيين المواضع التي نزل بها اليهود إمعانًا منه في التلفيق ، وتلمنيحًا إلى أن هذه الأرض هي لبني إسرائيل ففي الإصحاح (٣٣ : ٣٨) وردت الإشارة إلى موت هارون عليه السلام على جبل هور ، وحددت سنة وفاته بالسنة الأربعين من خروج بني إسرائيل من مصر في الشهر الخامس ، في الأول من الشهر " وكان هارون ابن مئة وثلاث وعشرين سنة حين مات بالجبل " يشتمل هذا السفر أيضًا على بعض الوصايا والتشريعات اليهودية منها ما هو مختص بالقصاص والميراث على سبيل المثال (فأمر موسى بني إسرائيل حسب قول الرب قائلاً بحق تكلم سبط بنو يوسف هذا أمر به الرب عن بنات صَلُفْحَادْ قائلاً من حسن في أعينهن يكن له نساء ولكن لعشيرة سبط آبائهن يكن نساء .

فلا يتحول نصيب لبني إسرائيل من سبط ، إلى سبط بل يلازم بنو إسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه . وكل بنت ورثت نصيبًا من أسباط إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائهن فلا يتحول نصيب سبط إلى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بني إسرائيل كل واحد نصيبه " (عدد ٣٦ : ٢ - ٩) .

وشأنه شأن كتب التوراة الأخرى فإن هذا السفر مشكوك في صحة نسبته إلى موسى عليه السلام والكتاب نفسه يحمل في طياته الأدلة الدامغة على صحة هذا الشك .

سفر التثنية : (Deuteronomy)

هذا هو الكتاب الخامس والأخير من كتب التوراة والعهد القديم ، وعنوان السفر في اللغة الإنجليزية مأخوذ من الكلمة اللاتينية Deuteronomium والتي هي مأخوذة بدورها من كلمة إغريقية بمعنى تكرار الشريعة أو القانون Repetition of the law وهذه التسمية قد أطلقت على هذا السفر خطأً في التوراة السبعينية Septuagint كترجمة خاطئة للآية (١٧ - ١٨) .

" وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته كلي يتعلم أن يتقي الرب إلهه ، ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة ، وهذه الفرائض ، ليعمل بها " . وفي هذه القرينة ينبغي أن نلاحظ

بناءًا على هـذا النـص فـإن نسـخة التـوراة كـانت واحــدة وكـانت في حـوزة الكاهن اللاوي فقط لا تتعداه إلى غيره، بدليل أن التوراة تقرر هنا أن من حـق الملك أن ينسخ لنفسـه نسـخة مـن التـوراة بعـد جلوسه علـى كرسي المملكـة . وكتاب بهذا الوضع يسهل بالطبع تحريفه علـى أي حـال ، ومهمـا يكـن الأمـر فإن العنوان الدقيق لهذا السفر هو على ما جاء بالنسـخة العبريـة ميشـنة تـوراة Mishneh torah وليـس الشـريعة الثـانية Second law كمـا هـو معنـى عبـارة deuteronomy (نسـخة من القـانون) وفي العبرية يعـرف الكتـاب بهـذا العنـوان Debarim وتعـني wards المـأخوذة مـن الكلمـة الثانيـة للآيـة الافتتاحية للسفر .

اليهـود في التيه مع موســى :

يغطي سفر التثنية الحوادث التي وقعـت للهيـود في التيـه وخاصـة عندمـا خيموا قبالة مدينة جيركو استعداداً لدخول كنعان والاستقرار بها، ولا تتعـدى هذه الحوادث التي يتكلم عنها هذا السفر الشهر الأخير من السنة الأخـيرة مـن سنوات التيه الأربعين . ويضـم كذلك خطب ووصايا النبي موسى عليه السلام الذي كان قد تقدم في السن وأوشك أن يختم حياتـه في دعـوة بـني إسـرائيل ، وفيه يحمس موسى الشعب الإسرائيلي ويعدد لهم نعم ا لله عليهم ويحضهم على طاعة ا لله والعمل بوصاياه ونبذ الغلظة والعناد والتردد .

" فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام الـتي أنـا أعلمكـم لتعملوهـا لكي تحيوا وتدخلوا وتمتكلوا الأرض التي الرب إله آبائكم يعطيكـم لا تزيـدوا

على الكلام الذي أنا أوصيكم به ، ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها " (٤ : ١ - ٣) " .

وفي هذا السفر يحذر موسى اليهود ألا يعملوا لأنفسهم تمثالاً منحوتًا على أي هيئة ذكرًا أو أنثى أو طيرًا أو سمكة أو أن يعبدوا شمسًا أو قمرًا ويسجدوا لها، ويذكرهم بأن الله قد خلصهم من عبودية المصريين وأخرجهم من كور الحديد من مصر ووعدهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي تفيض لبنًا وعسلاً. كما قال لهم موسى عليه السلام في حسرة أن" الله قد غضب عليه بسببهم " وأقسم إني لا أعبر الأردن ولا أدخل الأرض الجيدة التي الرب إلهك يعطيك نصيبًا، فأموت أنا في هذه الأرض، لا أعبر الأردن وأما أنتم فتعبرون وتمتلكون تلك الأرض الجيدة(٤: ١٦ - ٢٥).

الترغيب والترهيب في سفر التثنية :

معظم هذا السفر يدور حول الترغيب والترهيب والدعوة إلى عبادة الله الواحد المنزه عن المثيل والشريك، وعن وجوب حفظ العهد الذي قطعه الله تعالى مع الإسرائيليين(الإصحاح الرابع والخامس) " وشدد عزائمهم وذكرهم بمحبة الله لهم وتفضيله إياهم على جميع الشعوب ووعده بإهلاك عدوهم إن صدقوا مع الله وحافظوا على عهوده ووصاياه" (الإصحاح الرابع) .

ومن تذكير موسى لبني إسرائيل ما جاء في الإصحاح الثامن(١ - ٣) وهو من الكلام الذي يفيض حكمة وينبض بلاغة ولسنا نستبعد أن يكون قد صدر عن موسى عليه السلام يقول موسى عليه السلام حسبما نقله كاتب

هذا السفر . " جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها ... لكي تحيوا وتكثروا ، وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يذلك ويجربك ليعرف ما في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا فأذلك وأجاعك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكي يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان . ثيابك لم تبل عليك ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة فاعلم في قلبك أنه كما يؤدب الإنسان ابنه قد أدبك الرب إلهك واحفظ وصايا الرب إلهك لتسلك في طرقه وتتقيه ... " (١ - ٦) ويستمر موسى صلوات الله وسلامه عليه في تذكير اليهود بمعاصيهم وبقساوة قلوبهم وصلابة رقابهم كما جاء في الإصحاح التاسع من نفس السفر .

ومما جاء في الإصحاح الحادي عشر منه(فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم ونفوسكم، واربطوها علامة على أيديكم، ولتكن عصائب بين عيونكم، وعلموها أولادكم متكلمين بها حين تجلسون في بيوتكم، وحين تمشون في الطريق وحين تنامون وحين تقومون ...)(١٨- ٢٥) .

ويوضح السفر حقوق الكهنة اللاويين على جماعة اليهود فيطلب إليهم أن يعطوا للكاهن من ذبائحهم الساعد والفكين والكرشي وأول الحفظة .

... وغير ذلك مما تتطلبه ضرورة العيش وذلك(لأن الرب إلهك قد اختاره من جميع أسباطك لكي يقف ليخدم باسم الرب هو وبنوه كل الأيام)

(١٨ : ٣ - ٥) ويضم سفر التثنية بعض التشريعات أيضًا الإصحاحات وفي هذا السفر بشارة بنبينا صلى الله عليه وسلم نطق بها موسى عليه السلام قبل ان يودع الحياة ويغادر بني إسرائيل إلى الرفيق الأعلى (ويقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك ...)(١٨ - ١٥) وفي الإصحاح(٣٣ : ١ - ٥) ... يعتقد اليهود بصفة عامة أن هذا السفر شأنه في ذلك باقي الأسفار الخمسة من عمل موسى عليه السلام ، والحقيقة غير ذلك ، فإن في النص أدلة دامغة على أن هذا السفر ليس كله من عمل أو أقوال موسى عليه السلام وعلى سبيل المثال لا الحصر الإشارة إلى موت موسى عليه السلام التي أوردها كاتبه في الإصحاح الأخير فيه تؤكد أن التوراة ليست وحيًا من الله ولا هي من وضع موسى عليه السلام نفسه بل إنها كتبت بعد وفاته ربما بزمن بعيد .

جاء في الإصحاح الرابع والثلاثين (٥ - ٨) " فمات هنا موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور و لم يعرف إنسان قبرهُ إلى هذا اليوم و كان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات و لم تكِلَّ عينهُ ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى فيعربات موآب ثلاثين يومًا فكملت أيام بكاء مناحة موسى"ومما نلاحظه في هذا السفر أيضًا تنبؤ موسى بتحريف التوراة إصحاح٢٤:٣١وما بعدها .

ومما جاء في هذا السفر أيضًا " يقيم لك الربُ إلهُك نبيًا من وسطِكَ من إخوتِكَ مثلي له تسمعون حَسَبَ كل ما طلبت من الرب إلهِكَ في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعودُ أسمعُ صوتَ الربِ إلهي ولا أرى هذه النارَ العظيمة أيضًا لئلا أموت قال لي الربُ قد أحسنوا في ما تكلموا أقيم لهم نبيًا

من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فيه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلامًا لم أوصيه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم ألهة أخرى فيموت ذلك النبي ... " (١٨ : ١٥ - ٢٠) .

في هذا الكلام بشارة بنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ، بشر به موسى عليه السلام قومه بأنه سوف يأتي من إخوتهم أي من أولاد أخي أبيهم وهوإسماعيل عليه السلام ابن إبراهيم عليه السلام وأخو إسحاق عليه السلام فالعرب هم إخوة بني إسرائيل وهذا بنص التوراة نفسها(تثنية ٣ : ٤ - ٥) وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم إلى العرب، وبلسانهم ولكنه جاء بالرسالة العالمية الخاتمة ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾(الأنبياء : ١٠٧).

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾(سبأ : ٢٨) .

﴿وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدًا ﴾(النساء : ٧٩) .

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليست موجهة للعرب فقط بل لعموم بني الإنسان ، للناس كافة ، لذلك فقد بشرت به أنبياء الأمم السابقة ومهدت لأقوامها الإيمان به ووجوب متابعته ، ذكر الله تعالى في التوراة ، في هذا النص الذي أمامنا (أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم (واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيهم به) فالله قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم من إخوة بني إسرائيل ووضع كلامه على لسانه . بنص قوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ (القيامة : ١٦- ١٩) .

﴿ ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾(المزمل : ٤ – ٥) .

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾(النجم : ٣ – ٤) .

﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾(آل عمران : ٥١) . ثم إن عبارة (أقيم لهم نبيًا من وسط إخواتهم مثلك) فيها تقريب المسألة للأذهان ، وفيها شبه تنصيص وبيان عن مبعث رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه لم يقم من بين اليهود ولا غيرهم نبيًا مثل موسى عليه السلام إلا محمد الذي جاء بالدين والدولة ، وعانى في سبيلهما ما عاناه موسى عليه السلام . إلا أن النصارى يدعون أن هذه النبوءة لا تنطبق إلا على المسيح عليه السلام[1] وهذا غير صحيح ، فإن المثلية بين موسى والمسيح ناقصة بل تكاد تكون منعدمة ، بالنظر إلى أصول العقائد النصرانية ، إذ يعتقد النصارى بألوهية المسيح عليه السلام وليس موسى بإله وإن كانت التوراة قد أطلقت عليه لفظ إله (وقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيك) خروج ٤ : ١٧. (إلا أن اليهود لا يعبدون موسى ولا يؤلهونه) . وموسى عليه السلام عمّر وعيسى لم يعمر إذ مات شابًا وموسى قاد شعبًا وواجه حاكمًا ، ولم يفعل ذلك عيسى عليه السلام . وموسى مات كمحمد صلوات الله وسلامه عليهما موتًا طبيعيًا والمسيح مات على الصليب مقتولاً مهانًا بحسب اعتقاد النصارى . رسالة المسيح عليه السلام كانت رسالة وعظية خلقية خالية من التشريعات بخلاف رسالة موسى ومحمد

1 Brown, Raymond et - al , (eds) The Jerome Biblical Commentary. (London 1969) P. 113.

عليهما السلام . وهكذا وهكذا . ولسنا نعني بكلامنا هذا إنكار نبوة المسيح عليه السلام أو إنكار البشارة به كلا فإن إيماننا به نبيًا ورسولاً لا يقل عن إيماننا بموسى من قبله وبمحمد صلى الله عليه وسلم من بعده ، بل إنه من أركان عقيدتنا أن نؤمن بجميع الأنبياء ولا نفرق بينهم . ولكننا نسوق فقط الكلام لنؤكد صحة قرآننا في ما قرره بشأن البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة ، وفي نفس الوقت نحن لا نشك في وجود بعض البشارات الخاصة بالمسيح في كتب اليهود وإن أنكروا هم ذلك .

٣ - ومن بشارات التوراة الواضحة بمحمد صلى الله عليه وسلم ما جاء في الإصحاح الثالث والثلاثين: " وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم (تثنية ٣٣: ١-٢٠) وفاران بنص التوراة هي جبال مكة التي بعث منها محمد صلى الله عليه وسلم وتلألأ فيها الإسلام.

وقد بشر عيسى عليه السلام أيضًا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ﴿ وإذا قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (الصف : ٦) وما قلناه بشأن البشارة بمحمد في التوراة وكتب اليهود نقوله أيضًا بالنسبة للإنجيل الذي توزعت بعض عباراته وكلماته الأناجيل الأربعة التي هي بأيدي النصارى .

فعبارة البارقليط أو الفارقليط التي تترجم بالكلمة التي في معنى اسم أحمد قد وردت في إنجيل يوحنا أكثر من مرة[١] . ونعود فنواصل كلامنا عن سفر التثنية آخر كتب التوراة الخسمة يضم هذا السفر لهم كلامًا كثيرًا في السياسة والاجتماع والعسكرية والتشريعات القضائية الإصحاح العشرون يدور حول تحميس اليهود والمحاربين وإثارة حميتهم للقاء أعدائهم بقوة وشجاعة ، وضرورة استبعاد بعض العناصر من الانخراط في صفوف المقاتلين كالجبناء وضعاف القلوب ، وكالمتزوجين حديثًا لأنهم خطر على المقاتلين . ويلاحظ القارئ لهذا السفر قوة في معاملة الشعوب المغلوبة التى تتماشى مع روح التعاليم الإلهية التي تحض على السلم والتسامح ، والرأفة والرحمة ، ينص هذا الإصحاح على أن من حق اليهود استبعاد أهل المدينة التي تخضع لهم صلحًا ودون مقاومة وتسخير كل ما فيها لمصلحة الشعب اليهودي ، أما إذا حارب مدينة ما ثم استسلمت للهزيمة ودخلها اليهود فإن أبناءها لا بد أن يضربوا بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فغنيمة لليهود المنتصرين (٢٠ : ١٠ - ١٦) .

وينهي هذا الإصحاح المحاربين اليهود عن قطع الأشجار المثمرة ليس لسبب إلا لأنها ليست بآناسي (جمع إنسان) .

ولأن اليهود سوف يأكلون ثمارها (لاغيرهم بالطبع)(٢٠ : ١٩ - ٢٠) ، وكثيرًا ما يصف هذا السفر اليهود بالغباوة ، وعدم الرأي وفقدان البصيرة ، والتقلب وعدم الأمانة (٣٣ : ١٥ - ٣٤) .

---

١ - إنجيل يوحنا ١٤ : ١٥ - ٣١ ؛ ١٥ : ٢٦ ؛ ١٦ : ١٢ - ١٤

وفي الإصحاح ٢١ حث على استعمال الرحمة مع السبية أسيرة الحرب ، وإعطائها فرصة لتبكي أباها وأمها لمدة شهر قبل أن يدخل بها الإسرائيلي كزوجة ، ومن مظاهر القسوة الحكم على الولد العاق بالموت رجمًا بالحجارة (١٠ - ١٤ ، ١٨ - ٢٠) واعتبار المقتول في ذنب أو خطيئة ملعونًا (٢٣) والإسلام يعتبر العقوبة تطهيرًا ، ولا يلعن الإسلام إنسانًا قط ، وهو إذ يحرم الجنة على العاق بوالديه لا يحكم عليه بالقتل رجمًا بالحجارة ، بل يعظه ، ويرغبه ويرهبه .

ومن القسوة في معاملة الطير والحيوان ما جاء في الإصحاح الثاني والعشرين (إذا اتفق قدامك عش طائر في الطريق في شجرة ما أو على الأرض فيه فراخ أو بيض والأم حاضنة الفراخ أو البيض فلا تأخذ الأم مع الأولاد ، أطلق الأم وخذ لنفسك الأولاد لكي يكون لك خير وتطيل الأيام)[٦ - ٧] والإسلام لا يحبذ التفريق بين الأم وفراخها فهذه قسوة ومدعاة للوحشية والكراهية . ومن الوصايا الجيدة ما نقرؤه في نفس الإصحاح (لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس رجل ثوب امرأة ، لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك) [٥] . والإسلام يتفق في ذلك مع النساء . وتتفق التوراة مع القرآن في التشديد ضد جريمة الزنا والتغليظ في عقوبة الزانيين ، الرجل والمرأة رجمًا حتى الموت ، إلا أن التوراة تترخص في شأن زنا الفتاة غير المخطوبة إذ تقرر أنه على الزاني أن يعطي والد الفتاة خمسين من الفضة وتكون هي له زوجة لأنه قد أذلها لا يقدر أن يطلقها كل أيامه . (٢٢ : ٢٨) .

والإسلام بخلاف ذلك يحد على ذلك بالجلد مائة جلدة لكل من الفتى والفتاة . مع أن التوراة تعرف الجلد على الذنب إذ تأمر بضرب المذنب الذي ثبتت إدانته أربعين جلدة (٢٠ : ٢ - ٤) فإنها لم تأمر بجلد البكر الزانية والإصحاح الثالث والثلاثون يحرم الربا على اليهود مع بعضهم البعض فقط ، ويبيحه لليهودي مع غير اليهودي دون قيد أو شرط ، مادي أو معنوى (٢٣: ١٩ - ٢٠) لكن الإسلام يحرم الربا تحريمًا مطلقًا مع المسلم أو غير المسلم ويعتبره حربًا مع الله أو ضد الله يؤذن . بهزيمة الإنسان وفشله وخراب داره وضميره ومجتمعه . وهذا دليل ليس فقط على سماحة الإسلام بل أيضًا على عالمية دعوته وشموله .

ونختم كلامنا عن سفر التثنية بتقرير نفس ما قررناه بخصوص الأسفار الأربعة من أنه لا تصح نسبته هو الآخر إلى موسى عليه السلام وهذا السفر كسلفه يحمل أدلة نصية على أنه كتب بعد موسى عليه السلام من هذه الأدلة ما جاء عقب الإصحاح الثامن والعشرين (هذه هي كلمات العهد الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني إسرائيل في أرض موآب فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب) فالمتحدث هنا شخص آخر غير الله وغير موسى .

" فاشتعل غضب الرب على تلك الأرض حتى جلب عليها كل اللعنات المكتوبة في هذا السفر ، واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط ، وغيظ عظيم ، وألقاهم إلى أرض أخرى كما في هذا اليوم . السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد لنعمل بجميع كلمات هذه الشريعة " (٢٩ : ٢٧ - ٢٩) .

" فذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع إسرائيل، وقال لهم أنا اليوم ابن مئة وعشرين سنة ..." (٣١ : ١) واضح أن هذا الكلام لـراو يروي عـن حوادث ماضيه وليس هو موسى عليه السلام وإنما شخص آخر يروي عنه .

(فعندما كمل موسى كتابة كلمـات التوراة في كتـاب إلى تمامهـا أمـر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الـرب قـائلاً ، خـذوا كتـاب التـوراة هـذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكن هناك شاهدًا عليكم لأني عارف تمردكم ، ورقابكم الصلبة ، هوذًا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتي ...)(٣١ : ٢٤ - ٢٨) .

" فأتي موسى ونطق بجميع كلمـات هـذا النشيد في مسـامع الشعب" (٣٢ : ٤٤) .

وفي الإصحاح الرابع والثلاثين وهــو آخـر أسـفار التـوراة نقـرأ مـا يلـي وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبـو إلى رأس الفسـجة الـذي قبالـه أريحا فأراه الرب جميـع الأرض مـن جلعــاد إلى دان وجميــع نفتــالي وأرضـى أفرايم ... فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حســب قـول الـرب ودفنه فى الجواء ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليـوم وكـان موسـى ابن مائـة وعشرين سنة حين مات (٣٤ : ١ - ٧) .

هذا الكلام لا يمكن بحـال أن يكـون وحيًـا مـن الله ولا هـو مـن كـلام موسى قط وإنما هو كلام كتب بعد موت موسى بدليل الإشـارة تحديـدًا عنـد وفاته وإلى دفنه ، وهذا يبرهن على صحة مـا ذكـره في القـرآن الكريـم بشـأن تحريف التوراة ومعنى التحريف فى العرف الإسلامى أن التوراة الحاليـة تحتـوي

على حق وباطل وخطأ وصواب ووحي إلهي وكلام بشر وحديث نبي وإضافات رواة .

لغة التوراة :

لم يذكر القرآن الكريم اللغة التي نزلت بها التوراة على وجه القطع والتحديد ، كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم إذ يقول الله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربيًا لعلكم تعقلون ﴾ (يوسف : ٢) وقوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾(١٩٣ - ١٩٥). ففي هاتين الآيتين تحددت لغة القرآن الكريم وفي آيات أخرى وصف الله تعالى القرآن الكريم بالأوصاف الأدبية والعلمية السامية وتحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بشيء منه فعجزوا. والقرآن الكريم معجز في لفظه ومعناه والتحدي به قائم إلى قيام الساعة .

أما بالنسبة للتوراة فلم يرد في شأنها مثل هذا التحدي ، وبالتالي فلفظها ليس معجزًا . فاليهود الذين نزلت عليهم التوراة لم يكونوا أهل بلاغة ولا أهل أدب ولا كان لهم استقرار ولا حضارة يتطلبها السمو الأدبي ، إذ كانوا مستعبدين مستذلين في مصر مطاردين تائهين في صحراء سيناء كما هو مذكور في القرآن الكريم وفي التوراة التي بين أيديهم .

كان إعجاز التوراة في المعنى الذي نقلته والرسالة التي أدتها مناسبة لوقتها وللظروف والعقلية التى خوطبت بها ، لذلك لم يذكر الله تعالى لغة التوراة نصًا في القرآن الكريم .

لكننا نعرف أن اللغة التي نزلت بها التوراة كانت هي اللغة العبرية ، وذلك لأنها نزلت على موسى عليه السلام المبعوث لليهود خاصة وكان اليهود يتكلمون اللغة العبرية ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ... ﴾(إبراهيم : ٤) . كان موسى عليه السلام إذا يتكلم لغة قومه وهي العبرية ، التي نزلت بها لتوراة .

التلمـود

يعتبر التلمود دائرة معـارف يهودية مهمـة ، ومعنـاه بالعبرية التعليـم أو التعـاليم والتدريـس أو الدراسـة، كتـب التلمـود علـى فـترات زمنية متراخيـة تستغرق الألـف عـام ، وتحتـوي تلـك المجلـدات الضخمـة الـتي يشـتمل عليهـا التلمود على معلومات واسعة ومفصلة عن حياة اليهود وعقـائدهم وأفكـارهم وتشريعاتهم وآدابهم وفلسفتهم ، وأيضًا عوائدهم وأنمـاط عيشـهم وعلاقـاتهم بالشعوب والأديان غير اليهودية وغير ذلك من التفاصيل التي قد تصـل أحيانًـا إلى حد المبالغة المملولة.

يشتمل التلمود على قسمين :

القسـم الأول : وهـو المـتن ويسـمى بالمشـناه . (Mishnah) ومعنـاه المعرفة ، وتمثل المشناه قاعدة وأصل التلمود بلا خلاف بـين اليهـود في ذلـك . وتعتبر المشناه أول لائحة قانونية وضعها العبرانيون لأنفسهم إلىجانب التوراة.

القسم الثاني : وهـو الشـرح ويسـمى بالجمـارا (Gemara) ومعنـاه الإكمال أو التتميم . والجمارا ليست واحدة كالمشناه كما سنبينه .

المشناه : وتطلق على كل التعاليم الشفهية لليهود ويتسع تعريف المشناه ليشمل كل المأثورات القديمة التي جمعهـا اليهـود عـدا التـوراة وهـي (الخمـس كتب الأولى في العهد القديـم) . والمشـناه مـن أعمـال مـدارس الكتبـة الذيـن كانوا يعيشون في فلسطين والتي ازدهرت منذ عصر عزرا الكاتب الذي كتـب

لهم التوراة التي كانت قد حرقت مع المعبد ، وفي التلمود أن عزرا هو أول كاتب ومؤسس للمحكمة العليا سنهدرين (Senhedrin)[١] تنوقلت المشناة شفهيًا من جيل إلى جيل قبل أن تدون ، ولما خشى اليهود عليها من الضياع نظرًا للظروف التي كانوا يمرون بهاوعدم الاستقرار الذي اتسمت به حياتهم قرروا تدوينها . وهكذا دونت المشناه حوالي عام ٢٠٠ ميلادية .

وقد أكملها الحاخام جوده هاناسي ، هذا بغض النظر عن بعض الإضافات التي ألحقت بها فيما بعد، ومنذ هذا التاريخ والمشناه ليست من عمل شخص واحد بل هي مجموعة أقوال وشروح ومحفوظات وتقريرات لمجموعة كبيرة من المعلمين اليهود .

والمشناه ليست نصوصًا مقدسة ولا واجبة التسليم، حتى في الأمور المدنية وبالرغم من هذا فقد حيكت أساطير وحكايات كثيرة حول المشناه والتلمود بصفة عامة ، وصلت أحيانًا إلى درجة القداسة كما سيتضح من النصوص التالية :

يقول الفيلسوف اليهودي الأندلسي موسى بن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤م) (Maimonides) (ومنذ أيام معلمنا موسى حتى لحاخامنا المقدس (يهوذا هاناسي) لم يتفق أحد(أي من علماء اليهود) على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس، علانية باسم القانون الشفهي ، بل كان رئيس محكمة كل جيل ، أو نبيه ، يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه[٢]،

---

1 - Hyamson, Albert M and Silbermann Vallentine's Jewish Encyclopaedia P 219

لينقلها شفهيًا إلى شعبه، وهكذا ألف كل فرد(من هؤلاء العلماء كتابًا مماثلاً ليستفاد منه، حسب درجة كفاءته، إذا كان متمكناً من القوانين الشفهية. وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التي أعلنت في مختلف الأجيال وقررتها المحكمة العليا(السنهدرين). وهكذا تقدم الزمن حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات، وشرح القانون المروي عن موسى - معلمنا - المأمور به في كل جيل[1].

موضوعات المشناه :

تشتمل المشناه على ستة موضوعات أو ستة أقسام رئيسة كالتالي :

١ - زرائيم : (**Zeraim**) ويعني الزراعة والأشياء المتعلقة بها كالضرائب والعشور والأدعية والشعائر والصلوات المقترنة بالزراعة والمزارعين. ويشتمل زرائيم على إحدى عشر رسالة.

٢ - **موئيد** : (**Moed**) وتعني الأيام والمواسم والأعياد المحددة وتضم اثني عشرة رسالة تدور حول شعيرة السبت وأعياد اليهود وصومهم والقوانين التي تنظمها.

٣ - **ناشيم** : (**Nashim**) النساء ويدور هذا القسم حول الزواج والطلاق وما يتعلق بالأسرة ويضم رسالتين عن النذور، ومن الواضح أن الحديث

---

1 - Joseph Barclay. Hebrew Literature(New York, 1901 والنقل عن ظفر الإسلام خان - التلمود تاريخه وتعاليمه صـ١٢، ١٣

عن النذور في هذ القرينة يبدو غريبًا وقلقًا في موضعه ، إلا أن هناك سببًا ربما هو الذي دفع بكاتب هذا الموضوع إلى إقحاح الحديث عن النذر في قرينة الحديث عن المرأة هذا السبب يكمن في أن هذا الموضوع قد ورد ذكره في التوراة في سياق الحديث عن النساء الذين هم تحت الوصاية سواء وصاية الأب أو وصاية الزوج.

٤ - **نيزكين** : (**Nezikin**) هو خاص بالجرائم والجنايات والقوانين المدنية والجنائية ، وهذا القسم يضم أيضًا الرسالة الشهيرة أبوت (Abot) يعني أخلاق الآباء .

٥ - **كوداشيم** : (**Kodashim**) وتعنى الأشياء المقدسة وتتحدث عن شعائر الأضاحي وما يتعلق بالمعبد وغير ذلك ويتألف هذا القسم من إحدى عشرة رسالة .

٦ - **توهوروت** : (**Tohorot**) وتعني قواعد الطهارة ويتحدث عن طهارة الكهنة من اللاويين وعما يمكن أن ينجسهم ، وينبغي أن نعرف أن الكهانة كانت تتوارث بين أحفاد ليفي بن يعقوب وأن الكتاب الثالث من كتب التوراة الخمسة يحمل اسم اللاويين لأنه يتحدث في معظمه عنهم .

بالإضافة إلى هذه الموضوعات الستة توجد رسائل أخرى تلمودية صغيرة.[1] لا داعي لذكرها هنا.

---

١ - انظر دائرة المعارف اليهودية - مادة مشنا Hyamson and Silbermann Vallentine,s Jewish Encyclopaedia, pp. 433 ff

لغة وأسلوب المشناه :

كتبت المشناه باللغة العبرية القديمة مرحلة ما بعد كتابة العهد القديم مع استعارة بعض ألفاظ من اللغة الآرامية واللغة الإغريقية .

تخلو المشناه من وحدة الموضوع والربط بين الآراء والأقوال المختلفة . وتخلو كذلك موضوعاتها من المقدمات والنتائج التي هي من العناصر الضرورية في الكتابة الأدبية والعلمية . وهذا راجع إلى الاختلاف في مصادر ونصوص المشناه وتباعد الفترات الزمنية بين كتابها واختلاف البيئات التي عاشوا فيها وتأثروا بها .

وأحكام المشناه إما عامة مجهولة المصدر ، وهي بالرغم من هذا فهي مقبولة لديهم ، وإما أنها عبارة عن آراء للحكماء (Sages) أو حاخاميم Hachamim ، أو المعلمين .

وأراء الحاخامات هي الفاصلة في حالة ما إذا تعارضت النصوص حول مسألة ما .

مبالغة بعض اليهود حول المشناه والتلمود :

يعتقد عوام اليهود أن موسى عليه السلام صعد إلى السماء وبقي هناك أربعين يومًا تسلم فيها اللوحين من الله تعالى ، وإلى جانب اللوحين تلقى نصوص التوراة كاملة ، وكل نصوص الكتاب المقدس الذي أطلق عليه النصارى فيما بعد العهد القديم كذلك استلم موسى كتب المشناه والتلمود . والهجادا ، كل هذه النصوص قد أوحى الله بها إلى نبيه موسى عليه السلام ؛

وعلى هـذا معتقـد صناع الإسرائيليات ، وتمضي الأسـطورة اليهودية فتقـول أن موسى سـأل الله تعـالى أن يكتب التـوراة كاملـة ويدفـع بهـا إلى بـني إسرائيـل لكن الله قـال لـه : (إنـي يمكنـني أن أقـدم بكـل الرضـا ، كـل هـذه النصـوص التي أوحيت بهـا إليك مكتوبـة ، ولكنه من الثابت عنـدي أن أمم العـالم سوف يقـرؤن التوراة مترجمـة إلى الإغريقية فيما بعـد ويقولـون : (نحـن إسـرائيل الحقيقيـة ، نحـن أبنـاء الله) وسوف أرد أنا على هـذه الأمـم (أنتم تزعمون أنكم أبنائي ، هل تعلمون بعد أن هـؤلاء (أي بـني إسـرائيل) هم أبنائي حقًا الذين استأثرتهم بسري وبالتعـاليم الشـفهية (التعـاليم الشـفهية يعني التلمود وبعض أجزاء التوراة) .[1]

ونريد أن نوضح نقطة هامة هنا وهي أن هذه الأسطورة قد وضعت بـلا شك بعد ظهور النصرانية وبعد أن ترجمت التوراة من العبريـة إلى الإغريقيـة في عهد بطليموس .

هذا أولاً وأما ثانيًا فإن هذا النص يعكس بعد العقليـة اليهوديـة ووعيهـا بذاتها وشعورها بـالتفوق وإصرارهـا علـى هـذا التفـوق ، كمـا أنـه يشـير إلى المنافسة والعداء التاريخيين بين النصارى واليهود ، وصدق الله تعالى إذ يصفهم بقوله : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصـارى ليسـت اليهود على شيء ﴾(البقرة : ١١٨) .

---

1 - Ginzberg. The Legends of the Jews. Vlo. III. p. 141.

إن واضعي هذه الإسطورة كانوا علـى معرفـة تامـة بتحريـف النصـارى لكلمة إسرائيل التي تطلق على بـني إسـرائيل باعتبـار العهـد المبرم بينهـم وبـين يهـوذا، ونقـل الكلمـة مـن معناهـا الأصلي إلى معنـى آخـر يصطبـغ بالصبغـة اللاهوتية فأصبحت الكلمة من ثم تعني الكنيسة المسيحية التي سماهـا بولـس في رسالته إلى أهل غلاطية(٦ : ١٦) بإسرائيل الجديدة New Israel of God [١] والتي ورثت خصـائص وامتيـازات إسـرائيل القديمـة حسـب الاعتقـاد النصرانـي . وليس أقل في الأهمية من هذا أن نشـير إلى تـأثر واضـع هـذه الحكاية بما جـاء في إنجيل لوقا من أن المسيح قد قيد إلى البرية ليجرب من الشيطان أربعـين يومًـا وليلـة لم يأكل فيهـا شـيئًا . وورد في إسـطورة يهوديـة أن الحاخـام آشـي هـو أشـهر مؤلف للتلمود[٢] .

ويزعم اليهود أيضًا أن المشناه والتلمود أنزلا على موسى تمامًـا كـالتوراة في طور سيناء إذ يروون عن الحاخام ليفي بن شامه Chama الذي يروي عـن سيمون بن لاكيش Lakish الذي فسر التوراة علـى هـذه الفقـرة مـن التـوراة (خروج ٢٤-١٢) (إنا سنعطيك ألواح الحجر ، وقانونـًا ، ووصايـا كتبناهـا لتعلمهما لهم) يقول أن المراد من الألواح : الوصايـا العشـر . والقـانون ، هـو القانون المكتوب . والوصايا هي المشناه . وكتبناها يعني الذي كتبه الأنبياء من الكتابات المقدسة التى يتناقلها اليهود) .

---

1 - Cross. The Oxford Dictionary of the Christian church P. 706.

2 - Ginzberg, The Legends Of The Jews, Vol. III.P. 280.

وعبارة (لتعلمها) معناها الجمارا. فهذا يعلمنا أن هذا كله أعطى لموسى في طور سيناء[١] .

(التلمود) على التوراة . عندما يعيد الضمير " ها " في " لتعلمها " إلى الجمارا وليس إلى التلمود .

ويزعم التلموديون أن المشناه قد نقلها عن موسى عليه السلام أربعون متلقيًا، جيلاً عن جيل حتى انتهى الأمر إلى الحاخام المقدس يهوذا هاناسي.

ويقولون أن المشناه لم تكتب لمدة طويلة بل ظلت تتناقلها صدور الرجال نظرًا لوجود المعبد الذي هو بمثابة الجامعة حيث كان يؤدي مهمة تحفيظ هذه النصوص ويمنع من كتابتها لسبب شرعي[٢] ولا يجمل أن نهمل الإشارة إلى كتاب الحاخام اليعاذر بن يعقوب المسمى بريثا Britha الذي يعتبره البعض(نظيرًا) للمشناه في مائة واثنين حكمًا من أحكام التلمود تنسب إلى الحاخام اليعاذر رغم مخالفة المشناه لها[٣].

شروح المشناه :

سبق أن ذكرنا أن المشناه هي أصل التلمود، وأن جمارا التي سوف نتكلم عنها، هي شرح المشناه، إلا أن هناك شروحًا أخرى قام بهاعلماء يهود

---

١ - جوزيف باركلي(سبق ذكره) صـ ٣، وظفر الإسلام خان التلمود ص١٤

٢ - ظفر الإسلام ص١٤

٣ - نفسه.صـ١٥

من أهمها وأشهرها شرح الفيلسوف الأندلسي القرطبي أبي عمران موسى بن ميمون ، أحد أحفاد الحاخام المقدس يهوذا هاناسي الذي جمع المشناه .

يقول ابن ميمون في مقدمة شرحه على المشناه(أنا موسى بن ميمون بدأت هذا الشرح عندما كنت في الثالث والعشرين من عمري، وقد أكملته في سن الثلاثين في أرض مصر)[١] .

ويعتبر ابن ميمون رضيع وربيب الحضارة الإسلامية في الأندلس والمغرب ومصر وهو علم فذ يعتز به اليهود والمسلمون بل والعالم كله وكدليل على التقدير العظيم الذي أولاه اليهود لهذا العالم الكبير أنهم كانوا يشبهونه بالنبي موسى عليه السلام ، ومن أقوالهم فيه :

" من موسى إلى موسى لم يظهر واحد كموسى "[٢] . علق بن ميمون بالإضافة إلى هذا الشرح علىجزء كبير من التلمود البابلي كما لخص كتاب هلاخا Halachah يعني القوانين أو التشريعات ، من التلمود الفلسطيني . ومن الذين شرحوا المشناه أيضًا أو باديـاه دي بيرتينور - Bertinoro Obadeah di القرن الخامس عشر(15 th Cen) جوم تُب ليبمان Lippman Heller Jomiob (17 th Cen القرن السبع عشر وإسرائيل ليبستشوز Israel Lipschuz في القرن التاسع عشر (19 Th Cen).

---

١ - H. Polano (Trans)The Talmud, London Frederick Warne and Co - pp. 224 - 225. وظفر الإسلام خان - التلمود ص٩٦

٢ - نفسه صـ ٩٧

الجمـــارا :

الجمـارا بكسـر الجيـم هـي شـرح للمشـناه وتطلـق علـى التلمـود أيضًـا استعملها اليهود للدلالة على التلمود منذ عصر الجاؤنية ومع ظهور أكاديمتي ســورا وبومبيدتا (Sura and pumbedita) بالعراق حيث كان لقـب جـاون (Gaon) الذي يجمع على (Geonim) ومعناه حاخامات يعطي لكبار علماء التلمود . وكلمة جِمارا آرمية الأصل ومعناهاالتعليم أو طلب العلم. هذا وقد غلب هــذا التعريف المأثور(الجِمارا وهي شرح المشناه) على غيره في الاستعمال[1] .

واضـعوا المشناه :

كــان الحاخــام اكيبــا (Akiba) هـــو أول مـــن جمــع المشـــناه وقسـمها إلى فصـول ثـم جـاء تلميـذه مئير Meir فـأكمل المشـناه ووطأهـا ، وقـد أبـدى كبـار الحاخامـات اهتمامًـــا كبـيرًا بجمــع وتصنيــف نصــوص المشـناه كـل علـى طريقتـه ممـا أصـاب هــذه النصـوص بالتشـويش والخلـط والتعـارض بـين نسـخ المشـــناه ، وظـل الأمـــر هكـــذا إلى أن جـــاء الحاخــام جـودا هاناسـي المشـار إليـه آنفًـا وقـرر أن يـدون نسـخة تخلـو مـن هــذا التشـويش والتنـاقض، وقـد اسـتفاد يهـوذا بلاشـك بهـذه النصـوص واعتمـد عليهـا في تحقيـق النـص المعـدل الـذي قدمـه للمشـناه . وممـا يتصـل بهــذا الموضـوع وتهـم معرفتـه أن نذكـر أن العلمـاء الذيـن سـاهموا في تـأليف

1 - Vallentine's Jewish Encyclopaedia PP.239, 596 and Graetz. H., History of the Jews, Vol III. pp. 90 - 91

المشناه منذ وفاة الحبر هليل Hillel في العام العاشر بعد الميلاد حتى الفراغ من تأليفه في عام ٢٠٠ تقريبًا يسمون تنائيم(جمع تنا ومعناها المعلم في الآرامية).

أما العلماء الذين ساهموا في كتابة وجمع الجمارا فيعرفون باسم أموراثيم Ameraim مفرد Amora بمعنى المعيد أي الذي يقوم بإعادة ما قاله الأستاذ للطلاب .

وتعني الكلمة أيضًا بمعنى أوسع شراح الشريعة اليهودية وحملة المأثورات القانونية ، وهؤلاء كان لهم نشاط واسع في فلسطين وبابل ، منذ وقت تأليف المشناه أي منذ بداية القرن الثالث الميلادي وحتى استوى ونضج الأسلوب الأدبي للتلمود البابلي ونبوأ هؤلاء مكانة وسطًا بين تنائم والأموراثيم.

ويسمى علماء القرنين السادس والسابع الميلاديين الذين أضافوا شروحهم إلى التلمود سابورائيم / Saboraim أي العقلانيون .

أما الحاخامات الذين فسروا التلمود فيسمون جيونيم Geonim ، هذا إذا كانت لهم رئاسة المجامع اليهودية وإلا فإنهم يسمون بوسيكيم posekim وهم الذين يقدمون الإجابات والحلول للمشاكل والمسائل التي تهم جماعة اليهود ، وعادة ما يقترن الإسم بيساك pesak بكلمة دين Din أو هلاخا Halachah K ، ويشار بهما معًا إلى القرارات الشرعية أو القانونية التي تصدرها هؤلاء التلموديون .

طبعات وترجمات المشناه :

تعد طبعة روم Romam التي ظهرت في فيينا ، عاصمة شمال بولندا هي أفضل طبعات المشناه وقد صنف كاسوسكي H. J. Kasswsky فهرس للكلمات التي وردت بها ، نشر عام ١٩٣٧.

وقد ترجمت المشناة عدة مرات إلى عدة لغات ربما اكتفينا بالإشارة إلى بعضها ترجمت المشناه إلى اللاتينية وترجمها وليم سيور نهويس (أمستردام ١٧٠٣ - ١٦٩٨) .

وإلى الألمانية بواسطة سمتر وهوفمان ، وبيث وآخرين (برلين ١٩٣٣ - ١٨٨٧) .

وترجمها إلى الإنجليزية هربرت دنبي ونشرها في إكسفورد عام ١٨٨٧ - ١٩٣٣[1] .

التلمود :

أخذ الربانيون والحاخامات تعاليمهم وآراءهم عن الفريسيين (فرقة يهودية) الذين تسلطوا على الشعب أيام المسيح عليه السلام يحثونه على الأخذ بظاهر شريعة موسى ويحتفظون لأنفسهم بحق تفسير النصوص والتقاليد المتصلة بها ، والتلمود ومعناه الدراسة أو التعلم أو التعليم، كان يتناقل شفهيًا لمدة

---

1 - Vallintine Jewish Encyclopaedia p. 433.

وظفر الإسلام خان التلمود صـ٢٠

طويلة من الزمن خيف معها عليه من الضياع، وكان هـذا الخوف هـو الحـافز الذي دفع إلى تدوينه .

والتلمود يعني الجِمارا والمشناه، يعني المتن و الشرح معًا، أما إذا أردنا أن نفرد الشرح دون المتن في الذكر قلنا جمارا فقـط ومعناهـا الشـرح أو الشـروح مجردة عن المتن (المشناه) .

والتلمود من الكتب الطول والضخام أي أنه يحتوي على ثـلاث وستين مجلدًا تضمنت كل ما يهم اليهود في كـل منـاحي دينهـم ودنيـاهم، وإذا كـان التلمود قد أصبح في متناول أيدي الباحثين والمطالعين، فإنه ليس في إمكان غير اليهود فهم التلمود كاملاً! إنه يحتوي على رموز وأحاجي وألغاز يعسر فهمهـا كاملة على غير اليهود، والتلمود هو المحيط الذي تبـدأ منـه وتنتهـي إليـه جميع التيارات والروافد اليهودية في القديم والحديث.

يوجد هناك تلمودان كما ذكرنا من قبل : التلمود الفلسـطيني والتلمـود البـابلي ويبـدو مـن هـاتين التسـميتين نسبة كـل تلمـود إلى الأرض أو الموقـع الجغرافي الذي جمع وصنف فيه، نعني فلسطين أو القـدس أو العـراق وعلـى أي حال فالأيدي التي كتبت التلمود يهودية وإن اختلفـت البقـاع، وليـس يحـوي التلمود أي معلومات غير يهودية أو غير متأثرة باليهود .

ولسنا نستبعد وجود بعض العلوم والمعـارف والخبرات غـير اليهوديـة ، والتي اكتسبها اليهود من الأمميين ، في التلمود .

التلمود الفلسطيني أو إذا أردنا الدقة تلمود بين المقدس .

لا توجد لدينا أي معلومات تتمكن من خلالها التاريخ الذي تم فيه تصنيف هذا التلمود ، ولا من هو جامعه ومحققه على وجه اليقين أو حتى على وجه التقريب .

ومع هذا فإن بعض الكتاب اليهود يزعم أن مصنف التلمود هو ر.جو كانان بن نباكا R. Jochanan B, Nabbacha وهذا معارض بالأدلة النصية فقد مات هذا الحاخام سنة ٢٧٩ميلادية، بل إنه ربما قد تم تصنيف التلمود الفلسطيني حوالي ٤٢٥ ميلادية. وافتراض هذا التاريخ التقريبي لختم التلمود مبني على الظروف الصعبة التي مر بها يهود فلسطين والخراب الذي حل بمدراسهم كما ذكرت دائرة المعارف اليهودية[1]. كتب التلمود الفلسطيني باللهجة الفلسطينية الأرامية ، ولكن لم يصل إلينا من مجموع رسائل أو كتب هذا التلمود الثلاث والستين إلا تسعًا وثلاثين فقط أولها سفر نيدا .

وسواء كان هذا هو القدر الذي انتهي إليه تلمود فلسطين أم أنه كان قد كمل تصنيفه لانستطيع أن نجذم .

كان دانيال بومبرج أول من طبع هذا التلمود (فينسيا ١٥٢٣ - ٤ Venice) والمخطوط الكامل الوحيد الموجود الأن تحتفظ به مكتبة جامعة يل بهولندا .

التلمود البابلي ووصف مختصر له :

لهذا التلمود أهمية أعظم من التلمود الفلسطيني وعليه المعول الأكبر في فهم الشخصية اليهودية . والتاريخ اليهودي بصفة عامة . لقد تم وضع هذا

1 - Vallentine Tewish Encyclopaedia. P. 631.

التلمود تدريجيًا حتى حوالي سنة خمسمائة وتم وضع الخاتمة النهائية له في منتصف القرن السادس الميلادي . وسر وضع التلمود البابلي في بابل يكمن في أن جالية يهودية كبيرة كانت تستوطن هذه المنطقة أعني بابل وميسوبوتاميا (العراق الحالية) . (Babylonia and Mesopotamia) وكان يهود هذه الجهة يردون أصلهم إلى فلسطين ويعودون بتاريخهم إلى وقت الأسر البابلي أيام . بختنصر عام خمسمائية وست وثمانين قبل ميلاد المسيح عليه السلام .

ويصف المؤرخ اليهودي الروماني جوسيفس Josephus (٣٧ - ١٠٥م) يهود المنفى بقوله (كانوا يعدون بعشرات الآلاف)[١] . ويذكر رسل D. S. Russell أن الجالية اليهودية في بابل كانت منظمة وموسرة ، وعلى صلة وثيقة بيهود فلسطين .[٢] ولهذا السبب وصل التلمود البابلي إلينا كاملاً . وفي صورة أفضل بكثير من قرينه التلمود الفلسطيني .

ويرى النقاد أن التلمود البابلي يعتبر هو أوفى وأدق وثيقة عن حياة اليهود وتفكيرهم التي ظلت غامضة إلى حد كبير، حتى بالرغم من المعلومات الشرقية التي يتضمنها كتاب أستير .Esther . ويرجع الفضل في تأسيس المدارس التلمودية في بابل إلى عالمين كبيرين هما راب وصموئيل Rab and Samuel ، وبالتالي وضع التلمود البابلي كلا العالمين قد درس على يد الحبر المقدس جودا هاناسي . وفي مدرستي سورا ونهارديا، وأيضًا في بومبيتا

---

1 - Antiquitie XV , III, I

2 - The Jews From Alexander to Herod, (Oxford University press 1967) . P. 104

وميتشوزا وضع التلمود البابلي ويضم هذا التلمود أقوالاً وآراء لأكثر من ألفين ومئتي عالم يهودي يطلق عليهم إصطلاحيًا، أموريم Amoraim ، وهؤلاء العلماء مذكورون بأسمائهم ، وكان الحبر رآشي رئيسًا لمدرسة سورا حوالي عام ٣٦٧م[1] . وقد أخذ هذا الحبر على عاتقه جمع الأقوال والشوح والتعليقات التي تراكمت حول نص المشناه خلال السنوات المتعاقبة ، وقد أنفق راشي في جمع هذه المادة حوالي ثلاثين عامًا ثم قام بتنقيتها وتصنيفها ، وينبغي أن لا يفوتنا أن ننبه على أن التمود قد خضع هو الآخر للتحريف بالزيادة والنقص إذ أن المُطّلع على تاريخ التلمود في طبعاته المختلفة سوف يلاحظ أن نسخًا كثيرة منه وخاصة المطبوعة في المائة سنة الأخيرة تحتوي على مساحات بيضاء ودوائر مرسومة حلت محل الألفاظ التي طرحها اليهود من هذه الطبعات استرضاء للنصارى من الألفاظ المتروكة التى استعملت في الهجوم على المسيح والمسيحية والمسيحيين[٢]. وفي هذه القرينة ننوه أيضًا بالإختلافات بين التلمود والتوراة على سبيل المثال ، في مسألة خلق آدم وحواء ، إذ بينما يذكر سفر التكوين أن الله خلق آدم من تراب ثم خلق حواء من أحد أضلاعه . يقرر التلمود أن الله أخذ ترابًا من جميع بقاع الأرض وكونه كتلة ، وخلقهما جسمًا ذا وجهين ، ثم شطره نصفين ، فصار أحدهما آدم والآخر حواء . وكان آدم طويلاً جدًا

---

1 - Vallentints Jewish Encyclopaedia p. 631.

٢ - الدكتور روهلنج الكنزر المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله (بيروت درا القلم ، ودار العلوم ١٤٠٨ - ١٩٨٧) ص٤٨ .

فكانت رجلاه في الأرض ، ورأسه في السماء ، وإذا نام كانت رأسه في المشرق ، ورجلاه في المغرب[١] .

ذكرنا فيما سبق أن التلمود البابلي يقع في ثلاث وستين جزءًا ، كتبت باللهجة الآرامية القريبة من السريانية، مع استخدام اللغة العبرية حسبما كان يستعملها الأحبار. ويوجد في التلمود البابلي كذلك بعض الألفاظ من غير هاتين اللغتين، من اللاتينية، واليونانية، والفارسية، ولغات أخرى توجد نسخة خطية للتلمود البابلي في ميونخ بألمانيا (Hibr. 95 Munich cod.) كتبت عام ١٣٤٣ ميلادية .

يحتوي التلمود بنوعيه البابلي والفلسطيني على مادتي هلاخا أو حلكا Halacha وهاجادا .

وقد طبع التلمود بالفاسيميلي ١٩١٢ طبعة إستراك Strack في ليدن بهولندا وقد تتابعت طباعته فيما بعد، وأول طبعة كاملة له هي طبعة دانيال بومبرج(فينسيا ٢٣ - ١٣٢٠)[٢].

تأثير التلمود على اليهود :

The Influence of the Talmud on the Jews.:

للتلمود تأثير عظيم على الحياة الروحية والاجتماعية لليهود ، إذ كان هو دستورهم ومصدرهم ، ليس فقط في النواحي الدينية والأخلاقية ، ولكن

---

١ - سنهدرين سـ ٢/ ٣٨ والنقل من نفس المصدر السابق صـ٦٤ .

2 - Vallentin's Jewish Encycolopaedia p. 631

أيضًا في شتى مجالات الفكر والعلوم . وفي الأوقات العصيبة التي مرت بـاليهود كان التلمود إلى جانب التوراة يمثلان الرابطة القوية التي تجمع وتؤلـف بينهـم . ولقد انتشرت التعاليم التلمودية أولاً في المشرق ثم لم تلبث أن اتسعت لتشـمل أوروبا وأمريكا وغيرها من البلدان وذلك منذ القرن الثامن عشر .

ويهمنا أن نتوسع بعض الشيء في دراسة وضع التلمود في الأندلس الـتي علا فيها شأن اليهود في ظـل الحكـم الإسـلامي والحضـارة الإسـلامية لم تكـن الأندلس بدار تلمود في ظل الحكم الإسلامي والحضارة الإسلامية العظمـي قـد جاء اهتمام يهود الأندلس بالتلمود متأخرًا في أسبانيا الإسـلامية ، بـالرغم مـن ذلك فقد ترسخت هذه الدراسة وتوسعت بحيـث غطـت علـى العـراق . وقـد ذكرنا من التلموديـين الأندلسـيين الكبـار ابـن النغريلـة وموسـى بـن ميمـون ، وحسداي بن شبروط الذي يقول ابن أبي أصيبعة عنه إنه كان مهتمًـا بصناعـة الطب ، وخدم الحكم بين عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وكان حسداي بـن إسحاق من أحبار اليهود متقدمًا في علم شريعتهم ، وهو أول مـن فتـح لأهـل الأندلـس منهـم بـاب علمهـم مـن الفقـه والتـاريخ وغـير ذلـك : وكـانوا قبـل يضطرون في فقه دينهـم ، وسنى تاريخهم ، ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد ، فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفـون بـه مداخـل تـاريخهم ومبادئ سنيهم . فلما اتصل حسداي بالحكم ، ونـال عنـده نهايـة الحظـورة توصل به إلى استجلاب ما شاء من تأليف اليهود بالمشرق ، فعلم حينئذ يهـود الأندلس ما كانوا قبل يجهلونه واستغنوا عما الكلفة كانوا يتجشمون فيه[١] .

---

١ - عيون الأنباء في طبقات الأطبـاء بـيروت . دار الثقافـة ١٤٠٨ - ١٩٨٧ جـ ٣ صـ٨٢ ، Graetz III P. 228

لقد وصل حسداي بن شبروط إلى مكانة سياسية لم يبلغها أي يهودي آخر في أي مكان في العالم ، في ظل الدولة الأموية في الأندلس هذه المكانة العالية ساعدته على رفع مستوى اليهود المادي والأدبي داخل الأندلس وعلى الاتصال بالجاليات اليهودية في المشرق والمغرب. إذ كان يتصل بهم ويراسلهم ويتابع أخبارهم وقد وطأ هذا الرحل أرض الأندلس لأن تكون وطنًا صالحًا لتطور الأدب العبري والدراسات العبرية التي بلغت أوج تطورها في اسبانيا الإسلامية. وإلى هذا الرحل يرجع بفضل تقدم الدراسات التلمودية في هذا البلد الذي كانت معرفة أهله بالتلمود لا تتجاوز مجرد السماع وتلقي البابلي إلى البلاد الأندلسية وجعل الأندلس مركز اليقافة اليهودية، مما يذكر أن الخليفة الحكم ابن الخليفة العظيم الناصر لدين الله، وكان محبًا للعلم شغوفًا بجمع الكتب، هو الذي أمر بإحضار التلمود إلى قرطبة. وأمر كذلك بترجمته إلى العربية، مع ترجمة كتب يهودية أخرى ، كذلك قام بعملها يوسف بن أبي ثور. لهذا كله كان يهود الأندلس يعتقدون أن حسداي بن شبروط كان هو المسيح المنتظر[١] . ونستفيد من كتاب الفصل لابن حزم الأندلسي أن التلمود كان معروفًا لعلماء المسلمين في الأندلس أيضًا وسوف نتكلم عن نقد ابن حزم له في موضع آخر من هذا الحديث .

---

١ - انظر نور شيف عبد الرحيم رفعت. Ibn Hazm on Jews and Judaism. Ph. D Thesis. Exeter University 1988 pp. 150 ff

لقى التلمود اهتمامًا بالغًا أيضًا في مدارس شمال فرنسا بفضل الحبر راشي الذي كتب شرحًا على معظم أبوابه وشرحًا على التوراة كذلك[١]. ونتيجة لجهود المدارس الفرنسية والألمانية التلمودية ظهر المصنف المعروف بـ توسافوت .Tosafot بمعنى الإضافة وهي عبارة عن مقتطفات وشروح وتعليقات على التلمود البابلي وذلك في القرنين الثاني والثالث عشر، وإذا أردنا أن نصف التوسافوت قلنا إنها تلمود على التلمود، ويعتمد التوسافوت في شرحها على تعليقات راشي[٢]. ومما يتصل بهذه النقطة أن نشير إلى توسيفتا Tosefta. وتعني الإضافة أو الملحق وهي عبارة عن نصوص بجموعة تشبه نصوص المشناه قصد بها واضعوها تقديم معلومات مفصلة إلى الأجيال المتعاقبة عن الموروثات الإسرائيلية. وفي هذه القرينة نضيف أن زكريا فرانكل Zachareah Frankel(١٨٠١- ١٩٧٥) يدعي وجود تلمود آخر سابق في الوجود على التلمودين البابلي والفلسطيني. ويدعي فرانكل كذلك أنه قد لاحظ بعض الآثار لمادة هذا التلمود المزعوم في الترجمة الإغريقية القديمة للتوراة السبعينية ضمن مؤلفات اليهوديين اليونانيين فيلو، جوسيفس وبخاصة في المصادر غير التلمودية.[٣]

---

1 - Vallentine's Jewish Ency. 631

2 - Ibid P. 645

3 - Gaetz vol, V. pp. 684

قوانين التلمود ملزمة لكل يهودي :

The laws of the talmud were Binding on every Jew.:

وقد ظلت تعاليم التلمود مسيطرة على عقول اليهود حتى القـرن الثـامن عشر حيث اتجه بعض اليهـود إلى العلمانيـة ، ونبـذ كثـيرًا مـن التعـاليم والممارسـات الدينيـة وراءه ظهريًـا، وإن كـان لا يزال يهوديًا ، ومنـذ ذلـك التاريخ سقطت هيبة التلمود من نفوس الكثيرين من اليهود ولم يعد له سـلطانه السابق على نفوسهم .

لقد اعتبر هؤلاء اليهود اللادينيون أنفسهم جماعة منفصلة عن التيار العام لليهود الملتزمين كما هو الحال بالنسبة ليهـود ألمانيـا الذيـن أشـرنا إليهـم وإلى موقفهم من اليهودية الأصولية فيما سبق، وفي وقتنا الحاضر يوجد بعض اليهود الذين لا يزالون يطبقون تعاليم التلمود. في الوقت نفسـه يوجـد يهـود آخـرون يلتزمون نسبيًا بهذه التعاليم وآخرون لا يلتزمون بشيء منها البتة.

دراسة التلمود ليست قاصرة على الأحبار والحاخامات بـل هـي مباحـة لكل راغب من أهل الدين أو من العلمانيين، بل إن دراسـته واجبـة علـى كـل يهودي وجوب أداء الشعائر الدينية أيًا كان نوعها لا يستثنى أحد مـن ذلـك، ودراسة التلمود من أوجب الواجبات علـى الرجـال بصفـة خاصـة وينبغـي أن نعرف أن المرأة تتبوأ مكانة هابطة في ظل التعاليم اليهودية، وعلى مدار التـاريخ اليهودي يدرس التلمود في المدارس منذ السنوات الأولى وحتى الدراسات العليا[١] .

---

1 - The Encyclopaedia AMERICANA International Edition. First published in 1829 Vol 26 pp. 246- 7.

تبين من هذه الدراسة أهمية التلمود بالنسبة لليهود، والتأثير العظيم والعميق له على عقولهم وحياتهم طوال تاريخهم، يصدق هذا إلى حد يصح معه القول بأن العقلية اليهودية صياغة عملية من تصميم الأحبار والحاخامات أكثر منها من تصميم الأنبياء والرسل، وهي عقلية تلمودية أكثر منها توارنية ، إننا لا يمكن أن نفهم من هو اليهودي دون مطالعة التلمود وفهمه، ولا يمكننا كذلك أن نحدد نوع العلاقة الممكنة بين الهيودي وغير اليهودي إلا بناء على فهم التلمود وفك رموزه والتوصل إلى أسراره ، فإن صفحات التلمود هي القنوات الموصلة إلى فهم طبيعة اليهود وتراثهم وفكرهم .

أما وقد أوضحنا تأثير التلمود في اليهود على اختلاف بيئاتهم ومدارسهم وثقافاتهم ننتقل الآن إلى نقطة مهمة وهي دعوى اليهود أن التلمود قد أثر أيضًا في الأمم الأخرى.

يزعم اليهودي الألماني جرايتز Graetz أن التلمود قد أثر أيضًا على الشعوب غير اليهودية وعلى سبيل المثال فإن ما في القرآن من قصص وأقوال حكمية وتشريعية منتحل من التلمود والتوراة[1]. هذه دعوى عامة يتخذها المستشرقون بمثابة العقيدة الدينية أو الحقيقة العلمية ، ففي نفس الوقت الذي كتب فيه المؤرخ اليهودي الألماني Heinrich Graetz(١٨١٧ - ١٨٩١) كتابه الكبير في تاريخ اليهود كان إبراهام جيجير Abraham Geiger ، الحبر اليهودي الألماني (١٨٧٤ - ١٨١٠) قد قدم بحثه لنيل جائزة جامعة بون في

1 - The History of the Jews III. p. 72.

المسابقة التي أعلنت عنها هذه الجامعة في (١٨٣٢) وكان عنوان بحثه " حول العناصر الهيودية في القرآن " . (Jewish elements in the Koran)[1] .
والزعم بأن القرآن انتحل من كتب اليهود والنصارى زعم باطل فالرسول صلى الله عليه وسلم قد تلقى القرآن وحيًا من الله تعالى لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم قارئًا أو كاتبًا ، ولم يكن له اطلاع قط على كتب أهل الديانات الأخرى ولم يعرف عنه ذلك ، بل لم تكن هذه الكتب قد ترجمت بعد إلى اللغة العربية .

ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعف لغة غير لغته ولغة آبائه ولم يكن للعرب اهتمامًا بتعلم اللغات أو الاطلاع على الثقافات غير العربية ولم يكن في مكة أو حوض الجزيرة العربية مدارس أو إرساليات أو أساتذة مشائون على نحو ما كان في اليونان القديمة . ويدعي جرايتز أيضًا أن التلمود كان له تأثير كبير على حركة الإصلاح في أوروبا وفي ألمانيا بالذات، يقول (نستطيع أن نزعم بكل صراحة أن الهجوم على التلمود من قبل الأوربيين والدفاع عنه من قبل اليهود قد ساعد الألمان على اكتشاف شخصيتهم وتعميق وعيهم بذاتيتهم . كما عمل التلمود كذلك على خلق رأي عام بدونه لم تكن حركة الإصلاح في اوروبا لتخرج إلى الوجود ، ولكان مصيرها كمصير غيرها من الحركات ، هو أن تخمد أنفاسها لحظة ولادتها بل ربما لم تكن لتولد أبدًا)[2] .

---

١ - دكتور محمد أبوليلة " الرد على جيجر اليهودى الألمانى "

2 - The History of the Jews. vol IV p. 423

وعلى العكس لقد هاجم مارتن لوثر، زعيم الإصلاح في ألمانيا وأوروبا، التلمود وندد بالأحبار والحاخامات واستشهد لوثر على اليهود بما جاء في التلمود من إباحة قتل غير اليهود واستحلال ماله وممتلكاته، والكذب عليه وغشه، والتغرير به وقد صب لوثر جام غضبه على اليهود ورماهم بأقذع الألفاظ ووصفهم بأحط الأوصاف ، إنهم في نظره شعب وضيع، وأمة ملعونة، لا يمكن احتمالها، وقد دعى المصلح الألماني إلى إنزال أشد أنواع العقوبات باليهود وحض المسيحيين على هدم بيوتهم ، وعلى تجميعهم في مكان واحد كما تجمع الخنازير في حظائرها ، وطالب بجمع كتبهم كلها بالقوة وحرقها . وبانتزاع أموالهم منهم ورصدها لحساب من يدخل منهم في النصرانية، كما نادى بترحيل اليهود من البلاد والتخلص منهم[1]. ويعتبر التلمود عنصرًا أساسيًا مهمًا في تشكيل موقف العالم من اليهود وموقف اليهود من العالم ، إذ أنه بعد ما عرف التلمود، وأدركت الشعوب ما فيه من مواقف متعسفة وجحفة ضد الأمميين(أي غير اليهود) ولما ورد فيه أيضًا من التمجيد المغالي فيه لليهود على حساب الشعوب الأخرى ، ففي مختلف العصور قد تعرض التلمود واليهود للنقد الشديد فقد تعرض هذا التملود للمقاطعة والحرق أحيانًا والمنع من التداول أحيانًا أخرى إلى درجة قال معها البعض أن التلمود هو السببب في كل ما حل بالهيود من اضطهاد وشقاء[2]. وكان القساوسة ورؤساء الممالك النصرانية . يأمرون بحظر قراءة التلمود وكانوا أحيانًا يأمرون

1 -.Ibid, Vol IV. pp. 550 - 551.

2 - Ibid, Vol. V p. 694.

بحرقه وتذريته في الهواء وذلك لموقف كتاب التلمود المعادي من المسيح عليه السلام ومن المسيحية والمسيحيين[1] .هناك وجهة نظر تقول أن اليهود العرب كان لهم موقف معادي من التلمود بسبب ما يحتوي عليه من مخالفات للتوراة وكتب الأنبياء، مع أنه يمكن القول كذلك بأن اليهود العرب قد اتخذوا هذا الموقف منه نظرًا لحاجتهم إلى التكيف مع الإسلام والتودد إلى المسلمين خاصة وأن التلمود يصرح بمعادة غير اليهودي واستحلال ماله وممتلكاته، وغشه والكذب عليه، والتعامل معه بالربا مما هو غير مباح للهيودي مع أبناء ملته. وقد نعى القرآن على الأحبار والرهبان موقفهم من التوراة والأنبياء. يقول تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ . (البقرة : ١٤٦) .

﴿ وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتباب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ﴾ (آل عمران : ٨٧) .

﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾. (آل عمران ٧٢ - ٧٣) .

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ . (البقرة : ٧٩) . كان على يهود العرب المقيمين بين المسلمين ، والذين

---

1 - See Ibid. Vol VI. pp. 210 ff.and Vol. IV pp. 251,444 f.

وجدوا حريتهم كاملة في ظل عدالة وسماحة الإسلام أن يبدو نفورًا من التلمود، حتى ولو في الظاهر ، إذ أن من تعاليم اليهود أيضًا التقية وهي أن يبدي الإنسان بلسانه ما لا يرضاه بقلبه تجنبًا لشر أو ضرر[1] . تمخض موقف اليهود العرب الرافضين للتملود عن ظهور اليهودي السوري يسرين أو سرينص الذي ادعى أنه هو المسيح المنتظر، عام ٦٢٠ تقريبًا ، ووعد هذا الدعي اليهود ، أن يعيدهم إلى أرض الميعاد ، فلسطين إن اتبعوه وقد أمر سرينص هذا أتباعه بالخروج على تعاليم التلمود والتحلل الكامل من قيودها .

فألغى الاحتفال بالعيد اليهودي وأبطل الصلوات وأباح المحرمات المذكورة في التلمود ، وأباح استعمال الخمر التي في حوزة غير اليهودي وأحدث في الزواج ، فأجاز الزواج بين أشخاص أقرب علاقة من تلك التي حددها التلمود ، وقد اكتسب هذا الأفاق شهرة واسعة وصلت إلى بلاد الأندلس .[2] وكانت نهاية سرينص هذا سيئة على يد يزيد بن عبد الملك بن مروان عام ١٠٥ هجرية[3] . وتفرق أتباعه بعد موته واختلف اليهود فى شأنهم وكتبوا إلى أحبارهم فى الآفاق يستفتونهم فى شأن توبتهم هل تقبل أم لا ؟

وكان أعداء التلمود ونقاده ينتشرون في كل مكان، وكان منهم اليهودي وغير اليهودي، ومن هؤلاء يعقوب بن لب Jacob b. Leb من أهل جالسيا في بولندا ظهر في القرن الثامن عشر. وهو من ألد أعداء التلمود،

---

١ - انظر الكنز المرصود في قواعد التلمود.صـ٧٧

2 - Graetz,vol., II pp. 120 f.

3 - Ibid.

والتلموديين . كان يعقوب هذا عدوًا للأديان مبطنًا للإلحاد . مظهرًا للإيمان رغم أنه كان ينتحل الدين ويتظاهر بالإيمان ، كان متلاعبًا بالأديان جملة ينتقل من دين إلى دين ويرتدي ثوبًا بعد ثوب بحسب الموقف ، مرة يعتنق الإسلام في تركيا ثم يتحول عنه إلى الكاثوليكية[1]. فقد تخلى عن اسمه . وتبنى اسمًا آخر هو Frank وعندما كان في تركيا ومن دعاوى هذا البطال المحتال زعمه بأن المسحاء الذين تعاقبوا في الظهور على هذا الكوكب لم يكونوا أدعياء ولا كذبة وإنما كانوا جيمعًا تجسيدًا لنفس المسيح الواحدة التي حلت فيهم، وكانوا هم مظاهر مختلفة لتجلياتها ، الملك دواد، إلياس، عيسى بن مريم، محمد (صلى الله عليه وسلم) كلهم كانوا تجسيدا للروح الواحدة، أي روح المسيح المنتظر، وهذه هي عين دعوى الفرق الخارجة على الإسلام كالبابية والبهائية والقاديانية[2].

كان فرانك ماكرًا وخبيثًا ودنئ الأغراض والمقاصد، يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة وأن العبرة بالكسب وليست فى نوع الوجه الذى يكون به ، الكسب وكان يحض أتباعه على الانتهازية، والأنانية، وادعى فرانك أنه هو المسيح المنتظر ثم تحول عن هذه الرتبة فادعى الألوهية وقد مد ا لله لأمثال هذا الدعي في الغي حتى يبلغ به نار جهنم وبئس القرار.

كان فرانك على علم بزوهارست كبالا Zoharist Kabbala التي تضم نفسيرا صوفيا للأشعار الخمسة الأولى من كتب العهد القديم مكتوبة بالعبرية والآرامية وهذا الكتاب يمثل المصدر الأصلي ليهود الكبالا ، ويقال أن الذي ألفه

---

1 - Ibid, vol. V, PP. 272 F.

٢ - انظر الدكتور محمد أبوليلة والدكتورة نور شيف رفعت البابية والبهائية (تحت الطبع).

هو الحبر سيمون بن يوتشاي إلا أن الدراسات الحديثة لا تؤيد هذا الفرض ، وتعزي تأليفه إلى يهودي آخر هو موسى دي ليون الغرناطي الأندلسي في القرن الثالث عشر الميلادي إلا أن هذا الزعم معارض بطبيعة المادة التي تشتمل عليها زوهارست كابلا ، إذ أن قراءة فاحصة ومقارنة بين نصوصها تنبئ عن وجود أكثر من مؤلف وأكثر من فترة زمنية كتبت فيها[١] . بل إنه يمكن لنا أيضًا أن نفترض بكل اطمئنان وجود أفكار غير يهودية في هذا الكتاب .

كان سولومن بن جيكيل لوريا (Solomon ben Jechiel Luria) اليهودي الألماني المولود ببوسن Posen حوالى ١٥١٠ ، والمتوفى ١٥٧٣م ينتقد التلموديين بشدة لسبب خلقي غالبًا ، وهو أنهم كانوا يخالفون بين أقوالهم وأفعالهم ، وأنهم كانوا يتاجرون بالدين ويطوعونه لأغراضهم الدنيوية التافهة . ويرى المؤرخ اليهودي جرايتز أن ابن أبي ثور قد ترجم المشناه إلى اللغة العربية[٢] ، ولكن أشتر يعارض في ذلك ويقول أن ابن أبي ثور ترجم فقط ملخصًا للتلمود وليس التلمود كله[٣] . واعتمادًا على ما ساقه بن داود في كتابه سفر حكبلة Sefer - Ha - Qabbalah, كتاب المأثورات The Bood of tradition يقرر مولر Muller أن ابن أبي ثور ترجم التلمود كله إلى اللغة العربية للخليفة الحكم المستنصر[٤] . ولكن هذه

---

1 - Vallentin's Jewish Encyclopodea p 694.

2 - History of the Jews. Vol. III pp. 263.

3 - The Jews of moslem spain. Vol. 3 pp: 23 F.

4 - Max Muller, Die Responsen der spanischen Lehrer des 10. Jahr hunderts,(Berlin,1889)andGoldstein,Hebrew poems From Spain,p. 19 وانظر أيضًا رسالة الدكتوراة Ibn Hazm on Jews and Judaism, pp. 161- 162. للدكتورة نور شيف عبد الرحيم رفعت " آراء ابن حزم الأندلسى فى اليهود واليهودية باللغة الإنجليزية ، المملكة المتحدة جامعة أكستر ١٩٨٨م .

المسألة في حاجة إلى الدليل الذي يرجح أحدهما على الآخر . وممن ساعدوا على نشر التلمود في أرجاء الأندلس ابن النغريلة اليهودي المشار إليه آنفاً فقد نسج هذا الرجل على منوال الخليفة الحكم الثاني فاتخذ لنفسه كتابًا لنسخ المشناه والتلمود وبهذا استطاع ابن النغريلة أن يزود طلاب العلم من اليهود بالتلمود في كل الأرجاء وإذا كان يهود الأندلس قد اعتقدوا أن حسداي بن شبروط كان هو المسيح المنتظر فإن ابن النغريلة قد وصف نفسه بأنه هو حامي اليهود وبأنه هو داود وقته . The Protector of The Jews .and the David of his time.[1]

ولا يفوتنا في هذا السياق أن نذكر أن يهود الأندلس كانوا يعتمدون على نسخة التلمود البابلي وهذه هي النسخة التي رجع إليها ابن حزم الأندلسي في نقده لكتب اليهود. ولا يعني هذا أن التلمود الفلسطيني لم يكن معروفًا ببلاد الأندلس فقد كان الاتصال وثيقًا بين اليهود في كل بقاع العالم الإسلامي وكانت الزيارات بينهم متداولة خاصة في عصر الخليفتين الناصر وابنه الحكم ، إذ هرع اليهود ، من كثير من البلدان ، إلى الأندلس ابتغاء الثروة وابتغاء العلم والتحضر وكان يهود إيطاليا ، الذين اعتمدوا على التلمود الفلسطيني في معاملاتهم وعباداتهم ، على صلة بيهود الأندلس ولكي تتضح هذه النقطة أكثر نذكر أن موسى بن حانوخ الذي ولد وتربى في جنوب إيطاليا ، قد انتقل إلى الأندلس في عام (٣٤٥ هـ/٩٥٦م) واستقر هناك وتقلد فيما بعد منصب حاخام قرطبة ، وبالتالي فمن الممكن أن يكون ابن

---

١ - ابن داود - حكبلة صـ ٧٥ - ٢٧٦.

حانوخ قد استعمل التلمود الفلسطيني في أحكامه وقضاياه إلى جانب التلمود البابلي ، ولكن ينبغي أن يكون معلومًا أن يهود الأندلسى لم يقبلوا على التلمود الفلسطيني إقبالهم على التلمود البابلي وهناك أدلة تمكننا من القول بأن يهود الأندلس عرفوا نسخة أخرى للتلمود والتي كان يستعملها يهود أثيوبيا . أخبر الرحالة اليهودي Eldad Ben Mahli na - dani الذي نزل على الأندلس حوالي عام ٨٨٣ م أن هذا التلمود يرجع إلى أوثنيل بن كيناز Othniel Ben Kenaz الذي أخذه بدوره عن يوشع بن نون فتى موسى وخليفته الذي أخذه هو الآخر عن موسى عليه السلام . ولكن علماء اليهود يشكون في هذه النسبة ، وعلى أي حال فقد جمعت الأقوال التي تحصل عليها الْدَاد في كتاب أطلق عليه سفر أو كتاب الْدَاد هاداني ، ومما تجدر الإشارة إلى أن إِلْدَاد كان من اليهود العرب .

مبالغات اليهود حول التلمود :

يبالغ اليهود في تقدير قيمة التلمود فيزعمون أن موسى قد عرج به إلى السماء وعاش هناك أربعين يومًا تسلم فيها التوراة . وكتب العهد القديم ، المشناه ، والتلمود ، والهجادا ، وكذلك كل شيء يمكن أن يسأل عنه طلاب العلم الأذكياء أساتذتهم ، كل هذا تلقاه موسى عليه السلام أثناء إقامته في السماء[1] . هذه الحكاية التي لا أساس لها ما نظن إلا إنها قد حيكت على منوال ماجاء في إنجيل مرقس (١ / ١٢) من أن المسيح عليه السلام أخرجه

1 - Ginzberg. The Legends of the Jews Vil III p. 141

الروح إلى البرية ، وظل هناك في البرية أربعين يومًا يُجرَب من الشيطان ، وكان مع الوحوش ، وصارت الملائكة تخدمه . أراد واضعوا هذه الإسطورة أن يفضلوا موسى على المسيح عليهما السلام فجعلوه يقيم نفس المدة ولكن في السماء . وبجوار الله تعالى والملائكة لا الشيطان ، وردوا كل ما نقلوه عن أسلافهم يقينًا أو زعمًا إلى الله تعالى ، وربطوه كله على ما فيه من تناقض ومغالاه بالسماء في السماء السابعة ويزعم اليهود أن كل الفقراء الأتقياء المتعففون الذين أنفقوا كل وقتهم في دراسة التوراة والمشناه يقيمون السماء السابعة ، وإن الله يجلس وسطهم يشرح لهم التوراة والمشناه[1] . ولسنا ندري لماذا يشرح الله التوراة لهؤلاء في السماء وهو إنما أنزلها عليهم ليتعلموها ويعملوا بها في الأرض ، وكيف وعلى أية هيئة كان جلوس الله في وسطهم كواحد منهم وهو ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء ولا يتجسد ولا يتحيز سبحانه وتعالى .

وقد سبق أن ذكرنا أن اليهود يعتقدون أن المشناه إنما نزلت من السماء لهم خاصة ويعتقدون كذلك أن المشناه مقسمة على ستة أبواب على عدد السموات الست[٢]. وفي التلمود أن الله خلق ستمائة ألف روح يهودية ، لأن كل فقرة من التوراة لها ستمائة ألف تأويل ، وكل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح نقول لماذا حددوا عدد أرواح اليهود بستمائة وماذا عن اليهود الذين خلقوا بعد ذلك وهم يتجاوزون الستمائية ألف بكثير.

---

1 - Ibid Vol I p. 21

٢ – الكنز المرصود في قواعد التلمود صـ٦٦

هل لم يخلق الله لهؤلاء أرواحًا، ومن أين يا ترى جاءت هذه الأرواح إذن ؟ نسأل أيضًا كيف تفسر التوراة على ستمائة وجه هذا إن صح، وهو غير صحيح يجعل كلام الله كالألغاز والأحاجي غير مفهوم ، وغير مضبوط ، يجعل أحكامه سبحانه وتعالى غير واضحة ولا ثابتة ، بل عرضة لهؤلاء المتأولين وهدفا لأباطيل الغالين ثم إن التوراة في معظمها عبارة عن أسماء رجال ومواقع وحوادث تاريخية، لا تحتاج إلى تأويل على أي حال يرفع اليهود التلمود إلى رتبة أعلى من التوراة فقد جاء في التلمود : أن من درس المشناه فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة. وينص كتاب هاجيجا على أن(من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود، واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى)[١].

يقول ابن حزم الأندلسي(وما أجمع عليه أحبارهم لعنهم الله أن من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدب، ومن شتم الأحبار يموت أي يقتل). ثم يعلق على هذا بقوله(واعلموا أنهم(أي الأحبار) ملحدون ولا دين لهم، يفضلون أنفسهم على الأنبياء عليه السلام. وعلى الله عز وجل)[٢]. وهنا ينبغي أن ننبه على وهم وقع فيه ابن حزم رغم دقته في دراسة ونقد كتب اليهود والنصارى وصحة شواهده التي اقتبسها من هذه الكتب. إنه يعد خطأ كتاب

---

١ - الكنز المرصود صـ٥٠

٢ - الفصل في الملل والنحل جـ٢ صـ١٦

شعر قومًا Shiru Quma بين كتب التلمود، وفي الحقيقية أنه ليس منها ، بل هو كتاب مستقل ملئ بالخرافات والخزعبلات.

ومعنى شعر قومًا بالعبرية حجم أو مساحة أو جسم ا لله ويعتقد جم غفير من العلماء أن الكتاب موغل في التجسيم، ولهذا السبب رفضه اليهود الأرثوذكس إلى درجة أن موسى بن ميمون قد طالب بحرقه، ويعتقد ابن ميمون أن شعر قومًا من مولدات المجادين البيزنطيين Byzantine Aggadists. يضاف إلى ذلك أن القرائين قد هاجموا أيضًا الميول التجسيدية في الهجادا، ومن أهم ما توجهوا نحوه بالنقد اللاذع هو كتاب شعرر قومًا وقد عرفت طليطلة وطلبيرة من بلاد الأندلس القرائين اليهود الذين كانوا يقيمون فيهما على عهد ابن حزم الأندلسي ، ولكننا مع هذا لا نستطيع أن نجزم هل اطلع مؤلف كتاب الفصل على رأي القرائين في شعر قومًا أم لا ؟ ومه هذا فإننا نلمح أن ابن حزم لم يطلع على هذا النقد وإلا لكان استشهد به على اليهود المتعصبين له ، والمتمسكين به فإنه من الثابت أن علماء مشاهير من بين اليهود الأندلسيين وغيرهم كانوا يؤيدون هذا الكتاب على سبيل المثال ساعديه جاؤن. أو سعيد الفيومي الذي أشار إله ابن حزم ومن علماء الكتاب والكبالا وغيرهم جودا لاڤي (١٠٧٥ - ١١٤١) وإبراهيم بن عزرا.(١٠٨٩ - ١١٦٤ م) وسيمون بن تزيما(١٣٦١ - ١٤٤٤م) كل هؤلاء قد دافعوا عن كتاب شعر قومًا وتأولوا معانيه على أنها مجازات ، ولكن هذا في الحقيقة غير جائز وغير معقول منهم، نحن مع موسى بن ميمون في أن هذا الكتاب يجب حرقه، وإن كنا نجد فيه بالرغم من هذا تجسيدًا حيًا ليس لله فقط وإنما للعقلية اليهودية ذات الميول المادية المفرطة، وتجسيدًا حسيًا للعقلية التلمودية بخاصة .

فالألفاظ صريحة والعبارات لا تحتمل التأويل لأن كلام الكتاب كله يصدر عن التجسيد والتشبيه الذي يتنافي كلية مع جلال الذات الإلهية المتعالية عن مشابهة الحوادث، وصفات المخلوقين.

هذا و لم يصل كتاب شعر قومًا إلى أيدينا سالمًا، بل لقد ضاعت منه أجزاء كثيرة و لم يبق منه إلا متفرقات متناثرة في عدة مصادر، هذه النصوص المتفرقة لم تعرف إلى في القرن السادس وربما قبله بقليل. ومن كلام ابن حزم عن شعر قومًا نلمح أنه قد قرأ هذه النصوص المتفرقة التي عثر عليها من هذا الكتاب ثم جمعت وصنفت تحت هذا الاسم. كما تبين من الرسالة المطولة التي كتبها موسى بن يوشع رسالة مطولة عن شعر قوما[١].

من الأمثلة التي أعطاها ابن حزم من هذا الكتاب(أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع). ومن المفيد أن نشير إلى سويتمان الذي ترجم عبارة ابن حزم(من أعلاها إلى أنفه) خطأ هكذا

God's hight from head to foot is 5000 cubits. - والصواب

أن تكتب الترجمة هكذا

The extent of the forehead of their creator measures from top to his nose five thousand. Cubits[2]

ومن الشواهد الأخرى على إيغال كاتب شعر قوما في التجسيد ما ورد فيه من أن طول الله يبلغ ٢٣٦٠٠٠ فرسخًا. بنى مؤلف شعر قوما كلامه

١- انظر د. نور شيف صـ ٣٣٨ - ٣٣٩، الفصل ٢/ ١٦

2. Sweetman, Islam and Christian Theology. Part, 2. vol. 1 . p. 229

هذا على التفسير العددي بحساب الجمل لآية المزامير(عظيم هو ربنا وعظيم القوة لفهمه لا إحصاء (١٤٧ : ٥) .

وفيه أيضًا أن باطن قدمه عز وجل تغطي الكون كله وأن ارتفاع باطن قدميه معًا يبلغ ٣٠٠٠٠ فرسخًا وأن المساحة من أخمص القدم إلى الكعب ١٠٠٠ مرة مضروبة في ١٥٠٠ فرسخًا، وأن مربع لحيته يبلغ ١١٥٠٠ فرسخًا وكل فرسخ يساوي ثلاثة أميال وكل ميل يبلغ عشرة آلاف قيراط. لابن حزم إذًا حجته ودافعه إلى صب جام اللعنات على كاتب هذا الكلام، الذي يتنافى مع التنزيه المطلق للذات الإلهية الموصوفة بكل كمال وجلال.

لم يكن سدر ناشيم Seder Nashim من كتب التلمود بمأمن من نقد ابن حزم ، وإذا كان ابن حزم قد أصاب في اعتبار هذا الكتاب ضمن كتب التلمود فإنه لم يصب تمامًا في قصر موضوعه على الحيض والنفاس إذ أن سدر ناشيم كما هو واضح من عنوانه يشتمل على كل ما يتعلق بالمرأة من حيض ونفاس وزواج وطلاق ونذور، وأيضًا فقد أخطأ الإمام الكبير ابن حزم في إسناد القول بإن لله تاجًا من ذهب يزن ألف قنطار، وأقوال أخرى مماثلة إلى سدر ناشيم، وفي الحقيقة أنه لا وجود لهذه الأقوال في الكتاب المذكور ثم إنها غريبة على موضوع الكتاب، وبالرغم من هذا، فإنه من الممكن أن يكون ابن حزم وهو حجة في دراسة الأديان قد رجع إلى نسخة تختلف عن النسخة التي بين أيدينا[1]. بعد أن صورنا نقد ابن حزم الأندلسي للأحبار وما

---

١ - الكنز المرصود صـ٥١

صدر عنهم من أقوال مجافية للدين والعقل نعود إلى موضوع مغالاة اليهود في تقديس وتقدير التلمود، جاء في هذا الكتاب أن أشعيا النبي هو الذي قسم أبواب التلمود وفصوله وأن الأحاديث التلمودية مساوية لشريعة موسى عليه السلام. وفيه أيضاً أن التوراة أشبه بالماء، والمشناه أشبه بالنبيذ ، والجمارا أشبه بالنبيذ العطري، والإنسان لا يستغنى عن الثلاثة كتب المذكورة، كما أنه لا يستغنى عن الثلاثة أصناف هذه. وبعبارة أخرى فإن شريعة موسى مثل الملح، والمشناه مثل الفلفل. والجمارا مثل البهار، فلا يمكن الإنسان أن يستغنى عن واحد من هذه الأصناف.

وقال الحاخام(روسكي)(ألتفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من إلتفاتك إلى شريعة موسى) . وفي كتاب لأحد حاخاماتهم ألفه في عام ١٥٠٠م"إن من يقرأ التوراة بدون المشناه والجمارا فليس له إله " .

ويقول الحاخام تيكتيل (كل من غير أي أمر أو نهي جاء في التلمود كافر، خارج عن الدين اليهودي، لا تقبل له شهادة) .

وعندهم أن أقوال الحاخامات كلها واجبة التسليم وأن تناقضت، لأنها منزلة من عند الله وهكذا يصدق عليهم قول الله تعالى(إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله﴾.(التوبة:٣١) .

شنع التلمود :

يحتوي التلمود على شنع كثيرة تضاد الديـن والعقـل نقتصـر علـى ذكـر أمثلة قليلة منها.

ا لله :

يصور التلمود[١] في كثير من أقوال الأحبار ا لله بما لا يليق مع جـلال ذاتـه وصفاته، على سبيل المثـال : يقـول منـاحم :(إنـه لا شـغل لله في الليـل غـير تعلمـه التلمـود مـع الملائكـة ومـع(أسموديـة) ملـك الشـياطين في مدرسـة في السماء). فها هم فقـد جعلـوا في السـماء مـدارس ومعلمـين وجعلـوا الأحبـار أساتذة ومعلمين لله والملائكة نعوذ با لله من هذا الضلال.

ويقول التلمود :(إن النهار إثنا عشرة ساعة في الثلاث الأولى منها يجلس ا لله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحكم، وفي الثلاث الثالثة يطعم العـالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك).[١]

فالحاخامات يعتبرون يوم ا لله كيومنا ويقسمونه حسب أهوائهـم وعلـى مقتضى مناسبته للإنسان محدود الطاقة المحكـوم بـالعوارض الفلكيـة والأحـوال الصحية والمزاجية، إن ا لله سـبحانه وتعـالى يعمـل كـل شـيء في وقـت ، ولا يلهيه شيء عن شيء ولا يشغله أمر عن أمر، وا لله عز وجـل منزه عـن أفعـال الحوادث والمخلوقين لا يجوز عليه اللعب ولا العبث.

---

١ - الكنز المرصود في قواعد التلمود صـ٥٥

يقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾(الأنبياء: ١٦).

ويقول تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ . (المؤمنون : ١١٥) . ويقولون أن الله ندم على خراب بيت المقدس فصار يبكي ويندم يزأر كالأسد .[١] ونقول ما الذي يجعل الله يندم ويبكي تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، وهو الذي خلق كل شيء وقدره تقديرا وبيده الأمر والنهي لا ينازعه أحد في شيء من ملكه. ومن اليهود من يقولون أنه في ليلة عيد الكبور وهي العاشرة من تشرين الأول يقوم الميططرون Metatron وهو الرب الصغير عندهم أو رئيس الملائكة كما ورد في التلمود أيضًا ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكي قليلًا قليلًا ويلي إذ خربت بيتي وأيتمت بني وبناتي ، قامتي منكسة لا أرفعها حتى أبني بيتي وأرد إليه بني وبناتي) ويظل يردد هذا الكلام[٢] وفي مدراش راباه Midrash Rabbah ما يؤيد صحة الكلام الذي اقتبسه ابن حزم . إذ فيه أن الله يندم على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم ، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه وتضطرب المياه ، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل .!!!

فهم يصفون الله تعالى بالعجز التام وبالبكاء ، وإمعانًا من كتابهم في التجسيد والتشبيه جعلوا له عينًا كعين البشر تسح بالدموع، وإذا كان الله قد

---

1 - Ibid

٢ - الفصل جـ٢ صـ١٨ وانظر أيضًا رسالة الدكتورة نور شيف عبد الرحيم
Midrash Rabbah, pp. 41 - 42.

عجز عن إنقاذ اليهود من التعاسة المضروبة عليهم فمن يا ترى هو الذي أعطاهم القوة فيما بعد ومكنهم من حيازة الذهب وامتلاك الأرض والتوصل إلى القوة وإخراج الفلسطينيين من بلادهم واحتلال أرضهم وديارهم.

وفي التلمود أن الله إذا حلف يمينًا غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه[١].

إن الله لا يحلف ولا يحتاج إلى من يحلله من يمينه فالحاجة إلى اليمين والإشهاد والتحلل والندم من الأمور البشرية التي تحتاج إليها الناس، نعم إن لله أقسامًا في القرآن كما في قوله تعالى ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ ﴿ والشمس وضحاها﴾ ، ﴿ والتين والزيتون وطور سينين﴾

ولكن المراد بهذه الأقسام ليس هو طلب تصديق البشر أو إشهادهم على الله تعالى وإنما فيها تعظيم لشأن المقسم به فقط.

الملائكة :

وصف التلمود الملائكة بأوصاف غير لائقة فجعلهم صنفين ، صنف لا يطرأ عليه الموت وهو الصنف الذي خلق في اليوم الثاني، وصنف يطرأ عليه الموت وهو قسمان : من يموتون بعد فترة حياة طويلة وهؤلاء هم الذين خلقوا في اليوم الخامس، وفيهم من يموت في نفس اليوم الذي يخلق فيه بعد أن يرتل كلام الله ، ويقرأ التلمود ويسبح التسابيح ، وهو الذي خلق من النار ، وقد أهلك الله منهم جيشًا جرارًا بواسطة إحراقه بطرف إصبعه ، الخنصر .

---

١ - الكنز المرصود صـ٥٧

وذكر الحاخام موسى بن ميمون أن الأجرام السماوية هي صالح الملائكة ، ولذلك تراهم يعلقون ويفهمون وهذه مسألة تتصل بعلم الفلك والفلسفات القديمة . ولسنا في مجال التفصيل في هذه النقطة لكننا نقول إن الإجرام السماوية مخلوقات لله وهي تختلف عن الملائكة الذين جاء وصفهم في القرآن الكريم وكتب اليهود .

ويقول الحاخامات أن الملائكة لا تفهم اللغة السريانية ولا الكلدانية فعلى صاحب الحاجة ألا يتوجه إليهم بإحدى هاتين اللغتين وجاء في التلمود أن الملائكة يجهلون اللغة الكلدانية لسبب مهم وهو أنه يوجد لدى اليهود صلاة لا مثيل لها بين الأمم وهم يصلونها باللغة الكلدانية التي تجهلها الملائكة ، حتى لا يحسدوا اليهود على صلاتهم هذه[١].

وفي معرض رد ابن حزم لدعوى تفاضل اللغات بأعيانها يقول... وقد أدى هذا الوسواس العامي(أي تفضيل لغة ما على كل اللغات) اليهود إلى أن استجازوا الكذب والحلف على الباطل بغير العبرانية وادعوا أن الملائكة الذين يرفعون الأعمال لا يفهمون إلا العبرانية فلا يكتبون عليهم غيرها، وفي هذا من السخف ما ترى ، وعالم الخفيات وما في الضمائر عالم بكل لسان ومعانيه عز وجل...[٢]

---

١ - نفسه ص٥٨ و٥٩

٢ - الأحكام في أصول الأحكام تحقيق أحمد شاكر بدون تاريخ جـ١ صـ ٢٣

آدم وحواء والشياطين :

إن الله خلق الشياطين في يوم الجمعة في آخر النهار . ولم يخلق لهم أجسادًا ولا ملابس ، لأن يوم السبت كان قريبًا ، وما كان لديه الوقت الكافي ليعمل كل ذلك !!

وفي رواية أخرى للتلمود أن الله لم يخلق للشياطين أجسادًا عقابًا لهم ، لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الله الإنسان بدون جسد . وهذا فوق أنه غير معقول وغير مقبول فيه تجويز الجور والعجز على الله ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

والشياطين في التلمود لم يخلقوا كلهم من نار كما جاء به القرآن إذ منهم المخلوق من الماء والمخلوق من الهواء والمخلوق من الطين كالإنسان . أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لا تصلح إلا لصنعها وبعض الشياطين من نسل آدم ، لأنه بعد ما لعنه الله ، ونعوذ بالله من أن يلعن الله نبيه وخليفته الذي علمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته، أبى أن يجامع زوجه حواء حتى لا تلد له نسلاً تعيسًا، فحضر له اثنتان من نساء الشياطين أو العفاريت فجامعهما فولدتا شياطين . وهذه الأسطورة تحكي ما أسندته التوراة إلى لوط وبنييه من سكر وزنا بالمحارم .

ويتضمن هذا الكلام بذرة عقيدة الخطيئة الأصلية التي هي أحد الأركان الأساسية في الديانة المسيحية حيث يعتقد النصارى بأن كل بني آدم مخطئ بسبب عصيان آدم لأمر الله في الجنة وطرده توارث أبناؤه وبناته هذه الخطيئة

الأولى ، وكانت حواء أيضًا لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين ونعوذ با لله من هـذا الضـلال وإن في التلمـود لخبـالا آخـر إذ يزعمون أن الشيطان كان ملاكا وأن في يده القدرة على مساعدة الفقراء وأنـه أنقذ إبراهيم مرة من الموت وأنه كان يساعد الحاخامات[١].

وحسـب أقـوال التلمـود فـإن الشياطين يـأكلون ويشـربون ويتناسـلون ويموتون ويمكنهم التناكح والتناسل مع البشر وقد وصلـت مثـل هـذه الأفكـار السيئة للأسف إلى عقول العوام ، ووجدت من يـروج لهـا ، إذ يدعـي البعـض إمكان الاتصال على هذا النحو بين والإنس الجن.

وفي التلمود أقوال في هذه الموضوع مخلة للآداب لا يجوز نقلها[٢].

السـحر :

للحاخامات مجال واسع في الحديث عن السـحر وادعـاءات عريضـة في القدرة عليه إلى درجة تجعل تأثير السحر أحيانًا أقوى من تأثير المعجـزة وتضـع الساحر في مكانة أرفع من مكانة النبي.

جاء في التلمود(سنهدرين صـ/٢ مـا) أن أحـد مؤسسـي ديانـة التلمـود كان في إمكانه أن يخلق رجلاً بعد أن يقتل آخر، وكان يخلق كـل ليلـة عجـلاً عمره ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر، وكانا يأكلان منه معًا.

---

١ - انظـر الدكتور أبو ليلـة بحث عبـدة الشـيطان التاريخ والتطور الظـاهرة والعـلاج (تحت النشر) .

٢ - الكنز المرصود صـ٦١

وفي الكتاب المذكور (سنهدرين صـ٧٠) أن أحد الحاخامات كان يحيل القرع والشمام إلى غزلان وطعيز . وكان الراباي نياي يحول الماء إلى عقارب، ولقد سحر يومًا ما امرأة وجعلها حمارة . وركبها ووصل عليها إلى السوق . (سنهدرين جـ٢ صـ٦٧). وهم يصفون بعض الأنبياء بأنهم سحرة فيزعمون أن إبراهيم الخليل كان يتعاطى السحر ويعلمه . وكان يعلق في عنقه حجرًا ثمينًا يشفي بواسطته جميع الأمراض وإن هذا الحجر قد وقع في أيدي أحد الحاخامات فكانوا يستعينون به على إحياء الموتى وعمل أشياء أخرى خارقة[١] .

أقوال التلمود في المسيح :

لليهود مسيح آخر غير مسيح النصارى. وينتظر اليهود هذا المسيح ويبشرون بقرب ظهوره وقبل أن نستعرض بعض أقوال التلمود والحاخامات في هذه المسألة نود أن نشير إلى نقطة مهمة وهي أن المطلع على كتب اليهود المقدسة وآدابهم في القديم والحديث يخرج بانطباع أن المسيح يمكن أن يكون شخصًا بمواصفات معينة. ويمكن أن يكون كذلك بمجموعة من الأشخاص الممتازين والمتميزين الذين يقومون بدور هذا المسيح الإنسان. ويمكن أن يكون المسيح كذلك نظامًا أو عهدًا. يتحقق فيه لليهود ما كانوا ينتظرونه من المسيح المرسل ويمكن أن يكون المسيح قوة خارجية تساعدهم على الوصول إلى ما توقعوه من هذا المسيح. كقوة دولة مثل روسيا وأمريكا، أو قوة منظمة مثل هيئة الأمم المتحدة، أو النوادي والمنظمات والهيئات المختلفة التي يسيطر عليها

---

١ - نفسه صـ٦٢،٦٣

اليهود أو البنوك والشركات الكبرى التي تحقق لهم أهدافهم ، ونواصل كلامنا عن المسيح في التلمود ... جاء ت في هذا الكتاب هذه العبارات : (لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرًا وملابس من الصوف، وقمحًا حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة) . (وفي هذا الزمن ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له ، وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانية عبد يخدمونه . وثلثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته !! ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار (أي الخارجين عن الدين اليهودي) .

ويدعو التلمود اليهود أن يمنعوا الأمم من الوصول إلى القوة حتى تبقى القوة لليهود وحدهم . وهذه العقيدة التلمودية تمثل حجر الأساس في الصراع العربي الإسرائيلي أو الإسرائيلي العالمي .

وفيه أن الحرب لابد أن تقوم ويهلك ثلثا العالم ويبقى اليهود مدة سبع سنوات متوالية يحرقوا فيها الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر. وتعيش اليهود في حرب عوان مع باقي الشعوب منتظرين ظهور المسيح الذي سوف يظهر ويحصل به النصر ويتربع على العرش ويقبل الهدايا من جميع الشعوب إلا الشعوب المسيحية فإنه سيرفضها وتكون الأمة اليهودية آنذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد تحصلت على جميع أموال العالم.

إن التلمود منذ القدم يُعَلم اليهود أن يعيشوا في صراع دائم مع شعوب العالم واعتبار الجميع طرفًا واحدًا في الصراع معهم ويركز على احتكار الثروة والسلاح وهو ما يفعله اليهود، وذكر في التلمود أن هذه الكنوز ستملأ سرايات واسعة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها على أقل من ثلاثمائة حمار

وحينئذٍ يدخل النـاس في دين اليهود أفواجًـا إلا النصـــارى فـإنهم يهلكـون . ولا يفوتنا أن نذكر التلمود يصف المسيح عيسى بـن مريـم عليـه السـلام بأنـه ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثـان ويصفونـه بأوصـاف أخـرى غـير لائقـة لا يتسع المقام لذكرها والرد عليها .

اليهودي في عقيدة التلمود :

اليهود يدّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه كمـا ذكـر عنهـم القـرآن الكريـم وكما نطقت به كتبهم.

والتلمود يؤكد هـذا أيضًا بل ويبالغ فيه ، فقـــد جـاء في مواضـع كثـيرة منه : أن الإسـرائيلي معتـبر عنــد الله أكـثر مـن الملائكـة ، فـإذا ضـرب أممـي إسرائيلي فكـأنه ضـرب العـزة الإلهيـة . ويذكر ابن حزم الأندلسـي مـا جـاء في بعض كتبهم أن الله تعالى قال لبني إسرائيل : (من تعرض لكم فقد تعـرض لحدقة عيني)[١] .

وفي سنهدرين صـ٢ ، صـ٥٨ أنه لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس ، ولما أمكن باقي المخلوقـات أن تعيـش، ويعتقد اليهود أن اليهودي جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيـه . تعـالى الله عـن التبعيـض والتجزيئ ومشـابهة الحـوادث ، هـذه هـي أقـوال المشـبهة والمجسمة وقد جاء في التلمود ما يؤيد هذه النزعة العنصريـة المتعاديـة إذ يقـول إنه إذ ضرب أممي إسرائيليًا فالأممي يستحق الموت .

---

١ - الفصل جـ٢ صـ١٤ ، ١٧

وقال الرباي مناحم : أيها اليهـود إنكـم مـن بـني البشـر لأن أرواحكـم مصدرها روح الله. وأما باقي الأمم فليست كذلـك لأن أرواحهـم مصدرهـا الروح النجسة[١].

ويعتبر الحاخام (آبار بانيل) المرأة الغير يهودية مـن الحيوانـات وأن الله خلق الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقًا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيـا لأجلهم. وفي تلمود أورشليم صـ٩٤ أن النطفة المخلـوق منهـا بـاقي الشـعوب الغير يهودية هي نطفة حصان !! وجاء في(تلمود بياموت بند٦) أن اليهـودي يتنجس إذا لمس القبور (أي تناولها بـالأذى) وفقًـا للتـوراة مـا خـلا قبـور مـن عداهم من الأمم، إذ كانوا يعدونهم بهائم لأبناء آدم[٢].

وفي التلمود(سـنهدرين ١/٩٢) غـير جـائز أن تشـفقوا علـى ذي جنـة. وقال الريباى جرسون (ليس من الموافق أن الرجل الصالح تأخذه الشـفقة علـى الشرير(أي غير اليهودي).

وقال الحاخام أباربانيل (ليس من العدل أن يشفق الإنسـان علـى أعدائـه ويرحمهم). هذا الكلام الذي فيه عداوة ظـاهرة للإنسـانية وحنـق وحقـد علـى الشعوب غير اليهودية معارض ليس فقط بالقرآن الكريـم والسـنة بـل بـالتوراة ونصوص الكتاب المقدس أيضًا.

---

١ - الكنز المرصود ص٧٣

٢ - نفسه ص٧٤ ، ٧٥

وأن وحدة الجنس البشري وكرامة الأصل الذي خلق منه وهو أصل واحد بشكل عقيدة دينية عند المسلمين.

يقول تعالى : ﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾(النساء : ١) .

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير﴾(الحجرات:١٣)

﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ااا﴾ (الإسراء : ٧٠).

فالأفضلية باعتبار الإنسانية لا باعتبار الجنس أو الديانة مجردة من العمل الصالح لا غير . وروى الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " انظر فإنك لست بخير من أحمر ، ولا أسود ، إلا أن تفضله بتقوى الله " وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان" أخرجه البزار في معجمه . وابن كثير في تفسير آية الحجرات المذكورة ولقد جاءت وثيقة حقوق الإنسان في العصر الحديث لتتبنى هذه الدعوة التي جعلها الإسلام دستورًا إلهياً يحكم العلاقات الإنسانية ويعلي من قيمة الإنسان ويحرص على أمنه وسلامته وحيته وكرامته.

التقيــة :

يجيز التلمود لليهودى أن يتذرع بالتقية أي أن يقول بلسانه مـا ليس في قلبه لتفادي الضرر الذي ربما يصيبه إذا صـدق القـول ، وقـد حظر التلمـود على اليهود أن يحيوا الكفار أي كل من هو غير يهودي ، هـذا مـالم يخشوا ضررهـم ، أو عدوانهم وقد أخذ الحاخام بشاي مـن هـذا أنـه يجوز لليهـودي أن ينـافق غـير اليهودي وأن يكون مؤدبًا معه، وأن يدعي محبته كاذبًا إذا خاف وصول الأذى منه إليه.

ويصرح التلمود أنه يجوز لليهود أن يزوروا مرضى المسيحيين، ويدفنـوا موتاهم، إذا خافوا على أنفسهم الضرر والأذى منهـم. وقـال الربـاي إسمـاعيل طبقًا لتعاليم الحاخام (آكيبا) : يلزم اليهودي أن لا يجاهر بقصده الحقيقي . حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم . ويجيز التلمود أن يغـش اليهـودي غير اليهودي . (مسموح غش الأممي، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش لكـن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئًا فلا تخدعه ولا تغشه) !! .

إذا جـاء أجنبي وإسـرائيلي أمـامك بدعـوى، فـإذا أمكنـك أن تجعـل الإسرائيلي رابحًا فافعل، وقل للأجنبي: هكذا تقضي شريعتنا(إذا حصل ذلـك في مدينة يحكم فيها اليهود). وإذ أمكنك ذلك وفقًا لشـريعة الأجنبي فـاجعل الإسرائيلي رابحًا، وقل للأجنبي : هكذا تقضي شريعتك. فـإذا لم تتمكـن مـن كلا الحالين بأن كان اليهـود لا يحكمـون البلـد، والشـريعة الأجنبيـة لا تعطـي الحق لليهودي، فاستعمل الغش والخداع في حق هذا الأجنبي حتى تجعـل الحق

لليهودي[1]. ومما يؤكد هذا الكلام تلك الحكاية التي رواها أبو حيان التوحيدي. وننقل الحكاية كاملة هنا لأهميتها بالنسبة لموضوعنا.

وحدثني أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني القاضي صاحب المذهب قال : اصطحب رجلان في بعض الطرق مسافرين : مجوسي من أهل الريّ ، والآخر يهودي من أرض جَي[2] ، وكان المجوسي راكبًا بغلة له عليها سُفرة من الزاد والنفقة ، وغير ذلك ، وهو يسير مرفهًا وادعاً ، واليهودي يمشي بلا زاد ولا نفقة ، فبينما هما يتحادثان إذ قال المجوسي لليهودي : ما مذهبك وعقيدتك يا فلان ؟ قال اليهودي : أعتقد أن في هذه السماء إلهًا هو إله بني إسرائيل وأنا أعبده وأقدسه وأضرع إليه ، وأطلب فضل ما عنده من الرزق الواسع والعمر الطويل مع صحة البدن ، والسلامة من كل آفة والنصرة على عدوي ، وأسأله الخير لنفسي ، ولمن يوافقني في ديني ومذهبي ، فلا أعبأ بمن يخالفني بل أعتقد أن من يخالفني دمه لي يحل ، وحرام علي نصرته، ونصيحته والرحمة به . ثم قال للمجوسي : قد أخبرتك بمذهبي وعقيدتي وما اشتمل عليه ضميري فخبرني أنت أيضًا عن شأنك وعقيدتك وما تدين به ربك ؟ فقال المجوسي : أما عقيدتي ورأيي فهو أني أريد الخير لنفسي وأبناء جنسي ولا أريد لأحد من عباد الله سوءًا ولا أتمنى له ضررًا لا لموافقي ، ولا لمخالفي فقال اليهودي : وإن ظلمك وتعدى عليك ؟ قال : نعم، لأني أعلم أن في هذه السماء إلهًا خبيرًا عالمًا حكيمًا لا تخفى عليه خافية

---

١ - الكنز المرصود ، صـ ٨١

٢ - جَي مدينة بناحية أصبهان سُميت فيما بعد بشهرستان.

من شيء ، وهو يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته . فقال اليهودي : يا فلان لست آراك تنصر مذهبك وتحقق رأيك . قال المجوسي : كيف ذاك ؟ قال لأني من أبناء جنسك ، وبشر مثلك وتراني أمشي جائعًا نصبًا مجهودًا ، وأنت راكب وادع مرفه شبعان . فقال : صدقت ، وماذا تبغي ؟ قال : أطعمني من زادك ، واحملني ساعة ، فقد كللت وضعفت . قال : نعم وكرامة ، فنزل ومد له من سفرته وأطعمه وأشبعه ، ثم أركبه ، ومشى ساعة يحدثه ؛ فلما ملك اليهودى البغلة وعلم أن المجوسي قد أعيا ، حرك البغلة وسبقه ، وجعل المجوسي يمشي ولا يلحقه ، فناداه : يا فلان ، قف لي وانزل ، فقد انحسرت وانبهرت . فقال اليهودي : ألم أخبرك عن مذهبي وخبرتني عن مذهبك ، ونصرته وحققته ؟ فأنا أريد أيضًا أن أحقق مذهبي ، وأنصر رأيي واعتقادي . وجعل يحرك البغلة ، والمجوسي يقفوه على ظلع[1] وينادي : قف يا هذا واحملني ، ولاتتركني في هذا الموضع فيأكلني السَّبُعُ وأموت ضياعًا ، وارحمني كما رحمتك . واليهودي لا يُلْوي على ندائه واستغاثته ، حتى غاب عن بصره ، فلما يئس المجوسي منه وأشفى على الهلكة ، ذكر اعتقاده وما وصف به ربه ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : إلهي قد علمت أني اعتقدت مذهبًا ونصرته ، ووصفتك بما أنت أهله ، وقد سمعت وعلمت ، فحقق عند هذا الباغي على ما يحدِّثُك به ، ليعلمَ حقيقة ما قُلتُ . فما مشى المجوسي إلا قليلا حتى رأي اليهودي وقد رمت به البغلة ، واندقت عنقه ، وهي واقفة ناحية منه تنتظر صاحبها ؛ فلما أدرك المجوسي بغلته ركبها ومضى لسبيله ، وترك اليهودي معالجًا لكرب الموت ؛ فناداه اليهودي : يا فلان ، ارحمني

---

١ - ظلع أى يمشى وراءه وهو يعرج .

واحملني ولا تتركني في هذه البرية أهلك جوعاً وعطشًا ، وانصر مذهبك ، وحقق اعتقادك . قال المجوسي : قد فعلت ذلك مرتين ، ولكنك لم تفهم ما قلت لك ولم تعقل ما وصفت . فقال اليهودي : وكيف ذلك ؟ قال : لأني وصفت لك مذهبي فلم تصدقني في قولي ، حتى حققته بفعلي ، وذاك أني قلت : إن في هذه السماء إلهًا خبيرًا عادلًا لا يخفى عليه شيء وهو ولي جزاء المحسن بإحسانه ، والمُسيء بإساءته ، قال اليهودي : قد فهمتُ ما قلتَ، وعلمتُ ما وصفت ، قال المجوسي : فما الذي منعك من أن تتعظ بما سمعت؟ قال اليهودي : اعتقاد نشأت عليه ، ومذهب تربيت به ، وصار مألوفًا معتادًا كالجبلة بطول الدأب فيه ، واستعمال أبنيته ، اقتداء بالآباء والأجداد والمعلّمين من أهل ديني ومن أهل مذهبي ، وقد صار ذلك كالأسّ الثابت ، والأصل النابت ؛ ويَصْعُب ما هذا وصفُه أن يُترَكَ ويُرْفَض ويُزال . فرحمه المجوسيّ ، وحمله معه حتى وافي المدينة ، وسلمه إلى أوليائه محطمًا مُوجَعًا ، وحّدَثَ الناس بحديثه وقصته ، فكانوا يتعجبون من شأنهما زمانًا طويلاً .

وقال بعض الناس للمجوسي (بعد) : كيف رَحِمتَه بعد خيانته لك، وبعد إحسانك إليه ؟ قال المجوسي: اعتذر بحاله التي نشأ فيها ودأب عُمُرَه في اعتقادها، وسعى لها واعتادها ؛ وعلمت أن هذا شديدُ الزوال عنه، وصدَّقتُه ورحمته، وهذا مني شكر على صنع الله بي حين دَعَوْتُه عندما دهاني منه، وبالرَّحمة الأولى أعانني ربي، وبالرحمة الثانية شَكَرْتُه على ما صنع بي[1].

---

١ - أبو حيان التوحيدي - كتاب الإمتاع والمؤانسة تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، بيروت - المكتبة العصرية (تاريخ الجزء الثالث ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م) جـ٢ ص١٥٧ - ١٦٠

وفي هذه القرينة نذكر أن التلمود قد جمع من أساطير العالم القديم ومـن دياناته الشيء الكثير. ففي كتاب للصابئة حكى فيه صاحبه عن " آدم الأول أنه ذكر في كتابه أن في الهند شجرة إذا اتخذت منها أغصان فإن الغصـن منهـا إذا رمي في الأرض يسعى متحركًا كما تسعى الحيات ، وأن ثم شجرة أصلهـا صورة إنسان تسمع له همهمة وتنفلت منه الكلمة والكلمة .[١]

وقد وجدت مثل هـذه الخرفـات طريقهـا إلى عقـول أحبـار اليهـود مـن كتاب التلمود فتأثروا بها ونقلوا بعضها وحاكوا مثلها على نفـس المنوال وإذا كان الأحبار هم حماة الدين اليهود يأخذون بمثل هذه الخرافـات فكيـف يوثـق بنقلهم للتوراة وكتب الأنبياء .

---

١ - ابن ميمون . دلالة الحائرين ص٥٨٥ و ٥٨٦

الفرق اليهودية

١ - السامرة أو السامرية :

أول فرقة دينية في التاريخ اليهودي ، يقولون أن مدينة القدس هي نابلسَ التي كانوا يسكنونها، وتقع نابلس على بعد ثمانية عشر ميلاً عن بيت المقدس، لا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه، ويقولون أن الله أوحى إلى داود أن يبنيه في نابلس لكنه خالف وبناه في مكانه المعروف. لهم توراة تنسب إليهم هي التوراة السامرية تختلف عن التوراة التي بأيدي سائر اليهود والتي بايد النصارى(التوراة العبرية والتوراة السبعينية). والسامريون لا يؤمنون بنبي جاء بعد موسى ويوشع وبالتالي لا يعترفون بأنبياء يهود كثيرين ، ولا بعيسى ، ولا بمحمد عليهما السلام. ولا يؤمنون بالبعث .

وهم لا يستحلون الخروج عن الشام ولكن يظهر أن الظروف قد أجبرت بعضهم فهاجروا إلى مصر واستقروا بها وبخاصة في الإسكندرية وفي العصر الحديث انتشروا في أوروبا وأمريكا.

٢ - الصدوقية :

ينتسبون إلى رجل يقال له صدوق هو مؤسس فرقتهم، يقول ابن حزم أنهم هم الذين قالوا أن العزير ابن الله كما جاء في القرآن الكريم، وكانوا يقيمون بجهة اليمن ، ولكن اليهود ينكرون أن الصدوقيين قالوا بأن عزير ابن الله، إلا أن الجاحظ والبيضاوي[1] يدعمان كلام ابن حزم بعض التدعيم ، إذ

---

١ - الجاحظ"رسالة الرد على النصارى"ص٣٥ وما بعدها.وابن حزم.الفصل جـ١، ص٧٨

يؤكدان أنه كانت هناك فرقة من اليهود تقول ببنوة عزرا لله. وعلى أية حال ففي كتب اليهود تسمي إسرائيل بابن الله البكر، وتسمي ملكًا صادق ابن الله وغيرهم كثير واليهود يسمون أنفسهم أبناء الله، فلا مانع إذا أن يكونوا هم جميعًا أو فريق منهم قد سموا عذرًا بابن الله لأنه هو الذي كتب لهم التوراة بعد فقدها.

٣ – العنانية :

أصحاب عنان الداودي اليهودي، وتسميهم اليهود القراس والمسى، يقولون أنهم لا يعملون بغير شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام ، ويتبرؤن من قول الأحبار ويكذبونهم وهذه الفرقة تنتشر بالعراق ومصر والشام والأندلس.

٤ – الربانية :

وهم الأشعانية يأخذون بأقوال الأحبار ومذاهبهم ومنهم جمهور اليهود .

٥ – العيسوية :

أصحاب أبي عيسى الإصبهاني رجل من اليهود كان بإصبهان، بلغ ابن حزم أن اسمه كان محمد بن عيسى وهم يقولون بنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام، غير أنهم يقولون أن عيسى جاء لبني إسرائيل بخاصة وأنه أحد أنبيائهم وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي أرسله الله تعالى بالقرآن الكريم إلى بني إسماعيل، وهم سائر العرب كما كان أيوب نبيًا في بني عيص.

٦- الشاركانية :

حكوا عن زعيمهم المعروف بشاركان أنه قال أن محمدًا رسول الله إلى العرب وإلى سائر الناس ما خلال اليهود، وقال أن القرآن حق وكل الآذان والإقامة والصلوات وأركان الإسلام حق غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود، وربما تلفظ بعض الشاركانية بالشهادتين[1].

٧- المعادية :

اتباع رجل من همدان وهم بين اليهود مثل الباطنية بين للمسلمين. ومؤسس هذه الفرقة يدعى يوذعان أو يهوذا وكان يحث على الزهد والإكثار من الصلاة، وينهي أتباعه عن أكل اللحوم وشرب الأنبذة، وكان يقول أن للتوراة ظاهرًا وباطنًا وتنزيلاً وتأويلاً، وقد خالف عامة اليهود في التأويل وفي التشبيه، ومال إلى القدر وأثبت الفعل للعبد، وقدر الثواب والعقاب عليه[2].

---

١ - ابن حزم - الفصل جـ١ صـ٧٩،٧٨. الفرق بين الفرق - البغدادي ص٩ .

٢ - فخر الدين محمد بن عمر الرازي. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٢٩ .

شعائر يهودية وأعياد يهودية

عاشوراء وصوم اليهود :

من الشعائر التي يجتمع عليها اليهود والمسلمون صوم يوم عاشوراء وهو يوافق اليوم العاشر من شهر المحرم أول شهور العام الهجري، واليوم العاشر من شهر تشري (تشرين) ، الشهر السابع من التقويم اليهودي .

صام النبي صلى الله عليه وسلم هذا اليوم وأمر المسلمين بصيامه في المدينة المنورة وذلك قبل أن يكلف المسلمون بصيام شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة .

وجاء في سبب صيام يوم عشوراء أنه عندما وصل المسلمون إلى المدينة وجدوا اليهود صيامًا في هذا اليوم فسألوهم عن سبب صيامهم فأجابوهم بأن هذا اليوم هو اليوم الذي نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده ونحن نصومه شكرًا لله، فصامه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر المسلمين بصيامه[١] .

عن جابر بن سمرة قال" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده فلما فرض رمضان لم يأمرنا و لم ينهنا عنه و لم يتعاهدنا عنده ".

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بصيام عاشوراء حتى فرض رمضان. قال عراك: فقال عليه السلام: من شاء فليصمه ومن شاء فليفطر"[٢].

---

١ - البخاري جـ٣ صـ٩٦

٢ - ابن حزم - المحلي جـ٦ صـ ١٦٦.

عن أبي قتادة رضى ا لله عنه أنه سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال : " ما علمت أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم صام يومًا يطلب فضله على الأيام إلا هذا اليوم ، ولا شهرًا إلا هذا الشهر، يعني رمضان" رواه مسلم.

اتفق العلماء على أن صوم يوم عاشوراء سُنة وليس بواجب وذكر أبو حنيفة أن صيامه كان واجبًا في أول الإسلام أي قبل فرض صيام شهر رمضان، أما الإمام الشافعي فيذهب إلى أن صومه لم يزل سُنة منذ صامه النبي صلى ا لله عليه وسلم والمسلمون وكان كفار قريش يصومونه في الجاهلية واليهود يصمونه كذلك ربما لسبب يختلف مع السبب الذي من أجله صامه العرب في الجاهلية[١].

ولسنا ندري هل صام النبي صلى ا لله عليه وسلم يوم عاشوراء في مكة قبل الهجرة أم لا فقد كان فضل هذا اليوم معروفًا للجاهليين وكان بعضهم يصومونه كما ألحنا، ولسنا نستبعد أن يكون النبي صلى ا لله عليه وسلم صامه وحده ولم يأمر المسلمين بصيامه إلا في المدينة عندما كثر عددهم وظهر أمرهم واستقرت جماعتهم. ويظهر أن اليهود لم يفهموا الحكمة من صوم النبي صلى ا لله عليه وسلم وأتباعه لهذا اليوم الكريم فبدل أن يلاحظوا الأخلاق النبوية الطيبة في تواصل أهل الأديان فيما فيه طاعة لله وتكريم للأنبياء السابقين فهموه على أنه متابعة وتقليد من جانب محمد صلى ا لله عليه وسلم لهم هذا ما يمكن أن نفهمه من قول الصحابة لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إن اليهود والنصارى يعظمون هذا اليوم، فقال النبي صلى ا لله عليه وسلم العام

١ - النووي : شرح مُسلِم جـ٨ صـ٩

القادم نصوم التاسع والعاشر من الشهر مخالفة لليهود، وقد أعلن صلى الله عليه وسلم أنه سيفعل ذلك العام القابل لكنه مات صلوات الله عليه قبل أن يدركه .

عن عطاء رضى الله عنه أنه سمع ابن عباس يقول في يوم عاشوراء " خالفوا اليهود ، صوموا التاسع والعاشر "[١] .

ومما يجدر ذكره أن التقويم العبري كالتقويم الهجري قمري يعظم اليهود شهر تشرين ويعتبرونه شهر المناسبات المقدسة ويحتفل اليهود في اليوم الأول والثاني منه بأعياد رأس السنة الجديدة ويعتقد عامة اليهود أن الله تعالى جعل عيد اليهود في هذا الشهر مكافأة لهم على التزامهم بشعيرة السبت.

وقد وقعت في شهر تشرين أحداث يهودية كبرى، وفيه تحققت لهم أمجاد كثيرة وأهمها تأسيس الدولة والشروع في بناء معبد سليمان.

ويعتقد أحبار اليهود المتأخرين أن العالم خلق في موسم الخريف الذي وافق شهر تشرين - وفي التراث اليهودي أيضًا في الجاهلية ، وأنه في يوم عاشوراء بالتحديد من شهر تشرين خلص الله تعالى نبيه موسى واليهود من نير العبودية والاضطهاد على أيدي حكام مصر. وفي بعض الحكايات اليهودية أن يعقوب عرف بموت ابنه يوسف عليهما السلام في يوم عاشوراء ، وأن موسى صلوات الله عليه قد ارتفع إلى السماء وهبط في اليوم الحادي عشر من شهر تشرين.

ينبغي أن ننبه على أن بعض هذه الأقوال ليس لها أساس تاريخي وإنما هي من قبيل الأساطير فليس هناك دليل على ارتفاع موسى إلى السماء مثلًا في

---

١ - ابن حزم - المحلي جـ٧ صـ١٨

كتبهم وكذلك لم يشر القرآن الكريم إلى شيء من هذا في الوقت الذي أشار فيه إلى رفع بعض الأنبياء كإدريس والمسيح عليهما السلام .

أما وقد بينا أهمية يوم عاشوراء بالنسبة لليهود وجب أن نذكر أن صوم اليهود في هذا اليوم يتفق مع صوم المسلمين في عاشوراء وفي غيره والمعروف أن المسلمين يصومون عن المآكل والمشرب والمنكح يومًا كاملاً من الفجر إلى المغرب والأمر كذلك بالنسبة لليهود، في صوم عاشوراء خاصة وصيام يوم عاشوراء هو اليوم الوحيد الذي أمر اليهود كشعب أن يصوموه كلهم على هذا النحو.

وإذن فهم قد كتب عليهم الصيام كما كتب على المسلمين مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

ومن دراستنا للأديان تبين لنا أن الصيام شعيرة ملازمة للإنسان منذ باكورة وجوده على هذا الكوكب إلا أن الصيام يختلف في توقيته وكيفيته وفي الغرض منه بين شعب وشعب أو دين ودين.

أصحاب السبت :

يوم السبت من الأيام المقدسة عند اليهود، وهو عنصر أساسي في بناء العقيدة اليهودية، إنه على ما في كتبهم العهد الأبدي بين الله وبين بني إسرائيل، وهم مأمورون بتقديسه والتفرغ فيه من ممارسة الأحوال والأشغال ، من خالف في ذلك منهم يقتل وتنفي نفسه من بين الشعب.

تقول دائرة المعارف اليهودية أنه بالرغم من قدم هذه اللفظة أعني السبت فإنها غير معروفة الأصل من حيث اللغة، وتذهب الدائرة إلى أنه من الصعب أن تكون الكلمة مأخوذة من استراح أو جلس أو من العدد سبعة.

إلا إننا نرجح أنها مأخوذة من الفعل استراح أو جلس يعني ليستريح، إذ الكلمة مذكورة في قرينة خلق الله تعالى للكون وفي سفر الخروج نقرأ العبارات الآتية :" لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة حجر مكتوبين بأصبع الله"(٣١ : ١٣- ١٨).

فقد أثبتوا لله هنا التعب وضيق النفس، وطلب الراحة، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقد أشار القرآن إلى هذا الزعم ورد عليه في قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (ق ٣٨). فالله سبحانه وتعالى لا يتعب من عمل ولا يستريح لأن التعب وطلب الراحة من عوارض الأجسام واضطرار الطبائع والله عز وجل ليس جسمًا ولا نفسًا ولاداخلاً في زمان ولا متحيزًا في مكان.

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه قال لليهود : ﴿ لا تعدوا في السبت﴾ (النساء : ١٥٤). وأنه أخذ منهم " ميثاقًا غليظًا على ذلك.

ذكر القرآن الكريم أيضًا السبت فى قرينه تذكير اليهود بمعاصي سلفهم وما حل بهم ، " ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم

كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾ (البقرة : ٦٥) . وفي سورة أخرى يتهدد ا لله تعالى أهل الكتاب اليهود والنصارى معًا أو منفردين بصب لعنته عليهم إذا لم يومنوا بالقرآن الذي جاء مصدقًا لما معهم من كلام ا لله ، يقول تعالى : ﴿ يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر ا لله مفعولا﴾(النساء : ٤٧) .

يكشف ا لله تعالى عن خطط المحتالين على أمره ونهيه المعظمين للدنيا ومتاعها وعما حل بها بقوله تعالى : ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ ﴿ فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾(الأعراف ١٦٣ - ١٦٦) .

وهنا اختلف المفسرون في توجيه الآية التي تنص على أن ا لله تعالى قد مسخ بعض الآدميين من العصاة إلى قردة وخنازير، هل كان ذلك مسخًا حقيقيًا بمعنى أنهم تحولوا فعلاً عن صورة الآدمية العاقلة المليحة إلى الصورة الحيوانية الغبية القبيحة.

الآية تحتمل كل من الوجهين، البعض يقول أن ذلك يعني أن طباعهم وصورتهم هي التي تحولت إلى طبائع القردة والخنازير، والبعض يعتقد أنهم حولوا بالفعل إلى أمثال هذه الحيوانات ومن القائلين بهذا الرأي ابن حزم الأندلسي الذي وجد في سفر الخروج(٢٨ : ١٥- ٥٥).

ما يفيد بأن الله قد هدد اليهود إذا عصوا أن يجعلهم حيوانات.

وإذا كنا لم نعثر على هذه الإشارة نصًا في الموضع الذي أشـار إليه ابن حزم، فمن المحتمل أن هذا الكـلام قد ورد في نسـخته الـتي رجع إليهـا والـتي تختلف عن النسخ الحاضرة لكتب اليهـود، إذ أن ابن حـزم ثقـة في نقلـه لآراء ومعتقادات خصومه.

[illegible] سة ومن علم أو فن [illegible] ولا يمكن الاستغناء [illegible] العلم [illegible] لأية الوسائل لتبسط [illegible] مستقلاً.

[illegible] ين الكبار في [illegible] الذين كانوا أسبق من غيرهم في [illegible] هذا الفن [illegible] إلى دراسة [illegible] والأحكام [illegible] عن [illegible]

يشهد [illegible] اليوم حركة واسعة في دراسة المصطلحات حتى أن بعض [illegible] خاصًا بهذه الدراسة وقد تنادى الباحثون والمعنيون [illegible] أو بيوت لرصد وتجميع المصطلحات [illegible] متناول أيدي الباحثين والدارسين، وإنه ليمكن [illegible] قوتها الاقتصادية والسياسية بوفرة [illegible] إنما تعرف كذلك بكثرة ما لديها من [illegible] الكلمات، وإن أي لغة إنما تقاس أيضًا

بكثرة مصطلحاتها المستعملة والدائرة على ألسنة وأقلام الكتاب والمفكرين والمثقفين والمصطلحات والألفاظ هي أنفاس اللغة تضعف بضعفها تموت بموتها .

تكلمنا أيضًا في هذا الكتاب على الفرقة والطائفة وتتبعنا أصل الفرقة وتشعباتها وآرائها وتطورها ، ودرسنا كذلك ظروف انسلاخها من الدين وتأسيسها على البدع والكفريات وتبينا أن التفرق في الدين والابتداع فيه مصدره الفسوق وحب الرئاسة والتأثر بالديانات الوثنية والمذاهب المادية وهذا أس الفرقة من أي دين خرجت وفي أي بيئة ظهرت، والفرق مرتبطة دائمًا بالدين خارجة منه وعنه وعادة ما تنشأ الفرقة صغيرة ومحدودة وسرية مغلقة ثم تكبر وتقوى وتنتشر بحسب ما يتهيأ لها من ظروف ومناخ مناسبين ، والفكر الطائفي لا يجذب إلا ضعاف الدين والعقول اللذين خرجوا عن منهج الله وذلت أقدامهم عن صراط الله المستقيم ، والفرقة إذا لم تسندها قوة خارجية تتفق معها في الغرض فإنها لا تثبت ولا تبقى بل تذوى وتنحسر.

تكلمنا عن اليهودية أصلها ومنشؤها وتعاليمها وكتبها ولغة أهلها وعن الفرق اليهودية والتراث اليهودي ، وبينا بالأدلة القاطعة أن اليهودية ليست ديانة محددة بالمعنى المفهوم من لفظة ديانة ، وإنما هي نظام ظل مفتوحًا يستقبل من هنا وهناك حتى تضخم شكله وتضخمت مادته ، تشكلت اليهودية إذًا على مر الزمان بوضع الوضاعين وإنه ليصعب على اليهود أنفسهم أن يضعوا معنى محددًا لكلمة يهودية أو للديانة اليهودية بشكل عام وكلمة يهودية نفسها لا وجود لها في كتب اليهود المتداولة بينهم اليوم وذلك راجع في نظرنا إلى أن موسى عليه السلام شأنه شأن جميع الأنبياء إنما جاء بدعوة التوحيد المطلق ودعا الناس إلى الإسلام .

درسنا كتاب العهد القديم وهو مجموع كتب التوراة الخمسة وكتب الأنبياء مع التركيز على أسفار التوراة وتبين لنا بالأدلة النصية من هذه الكتب أن كتب اليهود محرفة بالزيادة والنقصان وبالتبديل والتأويل ، وأنها تشتمل على تناقضات واختلافات واضحة ، وأن بها عبارات غير لائقة خاصة تلك التي ترمي أنبياء الله بالزنا وشرب الخمر وبالخيانة والمكر. ولقد اهتم واضعوا هذه الكتب بالتفاصيل التاريخية والأوصاف الجغرافية والأحوال الاجتماعية لليهود مما أوقعهم في التناقض والمغالطات وارتكاب الأخطاء الفاحشة التي بيناها في الكتاب والتي اتفقت عليها كلمة النقاد الغربيين المحدثين ، ومن هذه الأمثلة إشارة واضع السفر الأخير من أسفار التوارة الخمسة وهو سفر التثنية إلى موت موسى عليه السلام ودفنه في مقبرة يجهلها اليهود إلى اليوم ، فهذا يدل دلالة قطعية على ان واضع هذا الكلام هو شخص مجهول لا يمكن أن يكون موسى ولا يوشع بن نون كما يزعم البعض إذ لو كان ليوشع لأدلى يوشع بمعلومات أدق لأنه كان فتى موسى المصاحب له وهو خليفته على بني إسرائيل إن هذا الكلام لا يمكن أن يكون إلا من وضع شخص مجهول .

لقد ترك الله تبارك وتعالى مثل هذه الأخطاء كما أبقى سبحانه وتعالى بعض فقرات من التوراة المنزلة في ثنايا هذه الكتب لتكون دليلا أكيدًا في أيدي المسلمين ضد اليهود الذين قتلوا بعض الأنبياء وحرفوا كتب الله تعالى .

في هذا الكتاب تكلمنا أيضًا عن التلمود وأوضحنا أنه بمثابة الخزانة الكبيرة أو السجل الطويل للعلوم والآداب والتقاليد والعادات والشرائع والأساطير اليهودية ، وهو عنوان تفكيرهم ومرآة حياتهم ، ولا يمكن فهم

العقيدة اليهودية قط دون فهم التلمود ، فالعقلية اليهودية عقلية تلمودية أكثر منها توارتية ، واليهود يهتبلون بالتلمود أشد من اهتبالهم بالتوراة وكتب الأنبياء .

في إطار المنظومة اليهودية تكلمنا عن التلمود بنوعيه البابلي والفلسطيني وعن المشناه والجمارا وعن أصول وشروح وترجمات التلمود ، وموقف اليهود منه على مدار التاريخ ، وعن موقف اليهود التنويريين في أوروبا منه بوجه خاص ، وعن موقف اليهود العرب المغاير من هذا الكتاب وذلك في ظل الظروف والأحوال العقائدية والفكرية والاجتماعية الخاصة وفي إطار المواقف السياسية للأقليات اليهودية بصفة أخص .

وتكلمنا أخيرًا عن الأعياد والشعائر اليهودية وارتباطها بتاريخ ومواقف اليهود في العالم وخلصنا من خلال الدراسة إلى أن اليهود ظاهرة عجيبة في التاريخ الإنساني وأن اليهود يمثلون قضية في أي مجتمع ينزلون فيه سواء كأقلية أو غير ذلك وإن اليهود من الخطورة بحيث ينبغي علينا نحن المسلمين أن نتتبع حركاتهم ونتابع أنشطتهم ونحصن أمتنا من كيدهم ومؤامراتهم في ظل تعاليم ديننا وكتابنا وسنة نبينا التي نظمت لنا طريقة وأسلوب مخاطبة الآخر .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصبحه أجمعين.

المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم

* كتب الصحاح والمسانيد

* نهج البلاغة للإمام علي كرم الله وجهه (بشرح الأستاذ الإمام محمد عبده) بيروت - دار المعرفة

* كتابي العهد القديم والجديد (القاهرة - دار الكتب المقدس - ١٩٧٠)

* أبوحيان التوحيدي . كتاب الإمتاع والمؤانسة تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين (بيروت - المكتبة العصرية ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م)

* ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء (بيروت - دار الثقافة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م)

* البغدادي - عبد القاهرة بن طاهر - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم . (بيروت - دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)

* البيروني . - أبو الريحان محمد بن أحمد - تحقيق ما للهند من مقولة مقبلة في العقل أو مرذولة (بيروت - عالم الكتب ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م)

* التهانوي - محمد علي الفاروقي - كشاف اصطلاحات الفنون . تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور عبد النعيم محمد حسنين (القاهرة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م) .

* الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر - الرد على النصارى (ثلاث رسائل للجاحظ - تحقيق فنكل) القاهرة - المطبعة السلفية ١٩٢٦

* الجرجاني - علي بن محمد السيد الشريف - كتاب التعريفات .
تحقيق الدكتور عبد المنعم الحفني (القاهرة - درا الرشاد ١٩٩١م)
* الجويني - إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف -
الكافية في الجدل. تحقيق الدكتور فوقية حسين محمود (القاهرة -
البابي الحلبي ١٣٩١هـ - ١٩٧٩م)
* ابن حزم - علي بن أحمد بن سعيد - . الإحكام في أصول الأحكام
تحقيق أحمد شاكر (القاهرة - دار الاعتصام) .
* المحلى تحقيق أحمد محمد شاكر (بيروت - دار الفكر)
الفصل في الملل والأهواء والنحل . (القاهرة - صبيح ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
* خان - ظفر الإسلام - التلمود تاريخه وتعاليمه (بيروت - دار النفائس
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م)
* ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد - مقدمة ابن خلدون. تحقيق الدكتور:
علي عبد الواحد وافي . (القاهرة - دار نهضة مصر) .
* الرازي - فخر الدين محمد بن عمر الخطيب - اعتقادات فرق المسلمين
والمشركين (القاهرة - مكتبة الكليات الإسلامية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .
* الراغب الإصفهاني- الحسين بن محمد بن المفضل - مفردات ألفاظ القرآن.
تحقيق صفوان عدنان داوودي (دمشق - دار القلم . بيروت - دار
الشامية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م)
* روهلنج - الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة الدكتور يوسف نصر
الله (بيروت - دار القلم - ودار العلوم ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م)

* الشهرستانى - محمد بن عبد الكريـم - الملـل والنحـل فـى هـامش الفصـل لابن حزم - القاهرة - مطبعة صبيح ١٩٦٤) .

* الشاطبي - أبو إسحاق - كتاب الموافقات في أصول الشـريعة (بـيروت - دار الكتب العلمية ١٣١١هـ - ١٩٩١ م)

* عبد الكريم زيدان - المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية (العـراق - مكتبة القدس ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م)

* ابن عربي - محي الدين - فصوص الحكم تحقيق وتعليق أبو العـلا عفيفـي (دار الفكر العربي بدون تاريخ)

* ابن عساكر - أبو القاسم علي بن الحسـن بـن هبـة الله - تبيين كـذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (بيروت - دار الكتـب العربي ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

* ابن عطية - الإمام أبو محمد عبد الحق - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق وتعليق الرحالي الفاروق وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري (قطر - مؤسة دار العلوم ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م)

* ابن فـارس - أحمـد - معجـم مقـاييس اللغـة تحقيـق عبـد السـلام محمـد (القاهرة - مصطفى البابي الحلبي) .

* الفاروقي - إسماعيل راجي - الملل المعاصرة في الدين اليهـودي . (القـاهرة - مكتبة وهبة ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م)

* الفيروز أبادي - مجد الدين محمد بن يعقوب - القـاموس المحيـط (القـاهرة - البابي الحلبي ١٣٧١هـ/١٩٥٢م)

* ابن ميمون (موسى) دلالة الحائرين - ترجمة الدكتور حسين اتاى (القاهرة - مكتبة الثقافة الدينية .

* للمسعودي - علي بن الحسين بن علي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت - المكتبة العصرية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

* ابن منظور - أبو الفضل جمال الدين - لسان العرب (بيروت - دار صادر ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

المصادر الأجنبية

Arberry, A. J. Religion in the Middle East Cambridge, Cambridge Perss, 1969

Ashtor , Eliyahu , The Jews of Moslem Spain (Pliladelphia the Jewish publication Society of America , 1984)

Barclay , Joseph , Hebrew literature (New York , 1901)

Black , I.B et. al (ed.) Encyclopaedia Judaica, ((Jerusalem Keler publishing House , 1961)

Brown, Raymond E, et . al. , The Jerome Biblical commentary , (London , Geoffrey Chapman , 1968).

Cross, F.L. (ed.) The oxford Dictionary of the Christion church (London , oxford Univsersty Press, 1961)

Ginzberg , Louis, The legends of the Jews (Philadelphia , the Jewish publication society of America (1968) .

Graetz, Heinrich , History of the Jews, (Philabelphia, the Jeweish publication Society of America , 1967).

Hyamson, Albert M. and silbermann Vallentines Jewish Encyclopaedia, London, Shapiro, Vallentine & co, 1938) ,

Max Muller , Die Responsen der spanischen Lehrer Des to , Jahr Hunderts (Berlin 1889) .

Peterson, Roland, Everyone is Right, (Amirca, Devorss and Company , 1987)

Polano , H. (trans) The Talmud (London, Frederick Warne and co).

Rifaat, Nurshif, Ibn Hazm on Jews and Judaism Ph.D Thesis (U. K. Exeter University, 1988).

Russell , D.S. , The Jews from Alexander to Herod , (oxford University press, 1967)

Sweetman, J.W. Islam and Christian Theology, (London, Lutterworth, 1945) .

Tenney, Merrill. C. (ed) the Zondervan Pictorial Encycloped of the Bible, (U. S. A. Zondervan Pupli Shing House 1972

فهرس

رقم الإيداع ١٩٩٧/٤٧٣٩
I.S.B.N . 977-19-3245-4

المطبعة الإسلامية الحديثة

٤٢ ش دار السعادة - حلمية الزيتون

القاهرة -- ت ٢٤٠٨٥٥٨